



دور الشعر في فهم النص القرآني
عند ابن عاشور
(ت ١٩٧٣ م)
في تفسيره التحرير والتنوير

إعداد:

د/ إيمان شحته حسن محمد

مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالمنصورة -
قسم التفسير وعلوم القرآن - جامعة الأزهر

المخلص :

هذا البحث تناول ملحا مهما في تفسير التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور ، ألا وهو دور الشعر في فهم النص القرآني ، حيث وجدنا أن الشيخ الطاهر قد توسع في هذا الجانب توسعا ملحوظا فلا يكاد تخلو صفحة من صفحات التفسير من بيت شعري مبينا به معنى أو مستدلا به على رأيه ، أو مرجحا به قوله ، أو مظهرا به منحى من مناحي الإعجاز القرآني، أو غير ذلك .

الأمر الذي يجعلنا نقول: إن ابن عاشور في تفسيره جعل من الشواهد العربية المنظومة مرجعا رئيسا بعد القرآن والسنة ، وقد ساعده في ذلك توافر ثقافته الشعرية النقدية التي مكنته من حشد كم هائل من أشعار العرب في كتابه ؛ مما أضفى صبغة أدبية ولونا جديدا للتفسير .

ولقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي بذكر نبذة عن ابن عاشور وتفسيره التحرير والتنوير ، ثم عرض لمفهوم الشعر عند علماء اللغة والأدب ، وبيان دور الشعر في فهم النص القرآني وأقوال العلماء في ذلك ، مع توضيح ملكة الشعر عند ابن عاشور وأثرها في تفسيره ، وانتهيت بعرض نماذج من تفسير التحرير والتنوير توضح لنا مدى استعانة ابن عاشور بالشعر في فهمه للنص القرآني . ومن الله نستمد العون وعليه نتوكل .

Abstract

The role of poetry in under stairs the text of Quran in Ibn Ashour's inter pretention of the Altahreer , Altanweer .

This Research dealt with an important feature in the interpretation of sheikh Tahir Ibn Ashour (AL-TAHWEER , AL-TANWEER) `and it is the role of poetry in understanding th text of Koran ,

Where we found that sheikh tahir expanded in this aspect a remarkable expansion may not be without any of his interpretation a Coplay of poetry , indicating the meaning of drawing on his opinion , or likely his saying m or appearing side of the Quran miracles and so on.

That is what let us say that ibn ashour in his interpretation made Arab sign system major reference after the holy Quran and sunah , the availability if his poetic culture helped him and enabled him to mobilize a great deal of Arab poetry in his book and thus added a new literary conception to the interpretation .

In this research , I relied on the inductive method by mentioning some points about Ibn Ashour and his interpretation (Al-tahweer – Al-tanweer) and explaining some conception of poetry from the linguistic and literature , and statement of the role of poetry in understanding Quran text and scientist quotes , and explaining (queen of poetry) for Ibn Ashour and its effect on the interpretation , and concluded by presenting forms from the interpretation (Al-tawheed , Al-tanweer) and explained how Ibn Ashour be helped on the poetry to understand the Quran .

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
، بلغ الرسالة و أدى الامانة و جاهد في الله حق جهاده فكان خير قدوة ومنار
الهدى صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وبعد ،

فإن القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان ، وهو
دستور هذه الأمة وسبيل وحدتها و كرامتها وعزتها ، والطريق إلى نجاتها ،
وهو مصدر التشريع وأساسه ، يهدي للتي هي أقوم ، وهو الصراط المستقيم
الذي لا تميل به الآراء ، والذكر الحكيم الذي لا تزيع به الأهواء ، والنزل
الكريم الذي لا يشبع منه العلماء ، فهو كتابه الدال عليه لمن أراد معرفته ،
ونوره المبين الذي أشرق له الظلمات ، ورحمته المهداة التي بها صلاح
جميع العالمين ، نزل بلسان عربي مبين، لم تشبهه عجمة ، ولم يكدره لبس
، عجز بلغاء العرب وفصحاؤهم عن الإتيان بمثله ، سره في يسره ، وإعجازه
في وفائه ، فأذعن البلغاء لبلاغته ، وركن الحكماء إلى حكمته ، وأدهشت
علماء التشريع أحكامه ، ما أقبلت عليه أمة تلاوة وعملاً فذلت ، ولا أدبرت
عنه غيرها فعزت ، ولو ابتغت في الأرض نفقاً ، أو اتخذت في السماء سلماً .
أقبل عليه العلماء منذ نزله يتدبرون آياته ، ويستنبطون أحكامه ،
ويستلهمون هداياته ، ويعملون أذهانهم في استنباط معانيه ، انتمارا بأوامره ،

واستجلاباً لمنافعه وَمِنْ أَفْلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
أَخْتِلافًا كَثِيرًا ﴿١٦٤﴾ (١)

والقرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى أساليبهم في كلامه قال تعالى : وَمِنْ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴿١٦٤﴾ (٢) .. وكان طبيعياً أن يفهم
النبي - صلى الله عليه وسلم - القرآن جملة وتفصيلاً ؛ إذ تكفل الله تعالى
له بالحفظ والبيان : وَمِنْ أَنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِغْ قُرْآنَهُ ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ
﴿١٦٤﴾ (٣) .

كما كان طبيعياً أن يفهمه أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في
جملته (٤) ، لكنهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل
تفاوتت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم ، وهذا يرجع

(١) سورة النساء الآية : ٨٢

(٢) سورة ابراهيم من الآية ٤ .

(٣) سورة القيامة : الآيات ١٧ : ١٩ .

(٤) أي بالنسبة لظاهره وأحكامه، أما فهمه تفصيلاً، ومعرفة دقائق باطنه، بحيث لا يغيب
عنهم شاردة ولا واردة، فهذا غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن، بل لا بد
لهم من البحث والنظر والرجوع إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - " انظر التفسير
والمفسرون لـ محمد السيد حسين الذهبي ، مكتبة وهبة، القاهرة ، ٢٩/١ .

إلى تفاوتهم في القوة العقلية ، وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات" (١).

وحيث إن اللغة العربية واسعة الأطراف لا يحيط بمجملها أو بكثير من تفاصيلها إلا من فتح الله تعالى عليه ؛ فقد سرى هذا التفاوت في فهم القرآن العظيم وتوجيهه وتفسيره في طبقات التابعين وأتباعهم ، وتنوعت ألوان التفسير التي وقفت للنظر في كشف أوجه اعجازه توصلنا إلى الكشف عن مراد الله تعالى في كتابه ، وتميزت صبغة كل تفسير عن غيره تبعاً لمنهج صاحبه واهتماماته ، فوجدنا التفسير الموضوعي ، والعلمي ، والفقهي ، والبياني ، والأدبي وغير ذلك. وكلهم " قد أولوا النص القرآني مستخدمين كل ما أتيح لهم من معرفة علمية - ليؤيدوا أفكارهم ... هؤلاء جميعاً كان هدفهم هو المعنى القرآني أي فهم النص القرآني" (٢).

ولما كانت الضرورة ملحة لفهم هذه النصوص القرآنية المعجزة ، وتذوق بيانها، وفهم أسرارها ومكوناتها ، برز دور الشعر - حفظاً ومدارسة ونقداً - كواحداً من العناصر - إن لم يكن أهمها على الإطلاق - التي تعين المفسر

(١) التفسير والمفسرون ، لـ محمد السيد حسين الذهبي ، ١ | ٢٩ ، وما بعدها ، بتصرف.

(٢) التفسير الأدبي للنص القرآني ، لـ د/ مصطفى الصاوي الجويني ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٨ م ، ص ٨ باختصار.

على الكشف عن مراد الله تعالى في كتابه ، ولا عجب في ذلك فهو من أعرق الفنون عند العرب ؛ فيه دونوا فيه تراثهم وتجاربهم ، وهو ديوان أخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم ، وأصلا يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم ؛ يقول صاحب الصناعتين: "إن الشواهد تنزع من الشعر ، ولولاه لم يكن على ما يلتبس من ألفاظ القرآن وأخبار الرسول شاهد"^(١) .

لذا أولاه علماء اللغة عناية فائقة، واهتموا به اهتماماً كبيراً؛ إذ يكاد يكون وحده العنصر الغالب في دراسات النحاة المتقدمين والمتأخرين من بين مصادر الاستشهاد^(٢)، بل وتخصصت كلمة الشاهد فيما بعد، وأصبحت مقصورة على الشعر دون غيره من عناصر التراث العربي ؛ لذلك "تجد كتب الشواهد لا تحتوي غير الشعر، ولا تهتم بما عداه"^(٣) ، وقد نُقل عن ابن نباتة^(٤) قوله: "من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه، والحجج لا تؤخذ

(١) الصناعتين ، لـ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العنصرية - بيروت ، ١٤١٩ هـ ، ص ١٣٨ .

(٢) انظر : الرواية والاستشهاد باللغة ، محمد عيد ، عالم الكتب ، ١٩٨٨ ، ص ١٣٨ .
(٣) البحث اللغوي عند العرب ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، التاسعة : ٢٠١٠ ، ص : ٤٣ .

(٤) ابن نباتة المصري محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي الفارقي المصري أبو بكر جمال الدين ، شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب، ومولده ووفاته في القاهرة ، له ديوان شعر و شرح العيون في شرح رسالة ابن

إلا منه، أعني أن العلماء والحكماء والفقهاء والنحويين واللغويين يقولون: قال الشاعر، وهذا كثير في الشعر، والشعر قد أتى به، فعلى هذا الشاعر هو صاحب الحُجَّة، والشعر هو الحجة^(١).

ويعد الشيخ ابن عاشور وتفسيره التحرير والتنوير في مقدمة المفسرين المجيدين في هذا اللون؛ إذ يعد تفسيره - بدون مبالغة - موسوعة شعرية تضم آلاف الأبيات الشعرية، والتي وظفها لفهم النص القرآني، ولهذا وقع اختيار الباحثة عليه كأ نموذج قوي في دراسة دور الشعر في تفسير القرآن الكريم.

وهذا هو مدار حديثي في هذا البحث - إن شاء الله تعالى - .

أسباب اختيار الموضوع : من أسباب اختيار موضوع البحث :

١- خدمة كتاب الله - عز وجل - بموضوع يتعلق بأشرف كتبه على الإطلاق.

٢- إبراز دور الشعر في فهم النص القرآني .

زيدون ، وغيرها " انظر الأعلام ، لـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م ، ٣٨/٧ .
(١) الإمتاع والمؤانسة ، أبو حيان التوحيدي ، المكتبة العنصرية، بيروت ، الأولى، ١٤٢٤ هـ، ١ / ٢٥٢ .

٣- إبراز دور المفسرين المعاصرين في تفسير القرآن الكريم ؛ إذ يتبين من خلال البحث أن تأخر المفسر لا يمنعه من الضلعة في أدوات التفسير بل والإبداع فيها.

٤- إن كتاب التحرير والتنوير يعد موسوعة علمية ضخمة تستحق منا الدراسة والتنقيب.

٥- إن الشيخ الطاهر بن عاشور يعد من العلماء الأفاضل فقد تعددت معارفه وتنوعت جوانب شخصيته فبرع في علوم كثيرة من تفسير وفقه ولغة وحديث، وله مؤلفات كثيرة في شتى فروع العلم الشرعي تميزت بدقة الاستنباط وسعة الاطلاع وعمق التفكير وقوة الحجة .

٦- محاولة الاستفادة من جهود عالم جمع بين اللغة، والتفسير .

٧- إن هذه الدراسة تساهم في إطلاع الباحثين على دور التراث الأدبي في التفسير ، وهو لون مهم يبرز جمال التعبير القرآني .

منهج البحث :

انتهجت في هذا البحث المنهج الاستقرائي وفق المحاور التالية :

١- اعداد نبذة تعريفية عن الطاهر بن عاشور و كتابه التحرير والتنوير .

٢ - جمع بعض الآيات القرآنية التي فسرها المؤلف مستشهدا على تفسيرها بالشواهد الشعرية.

٣- تخريج الآيات القرآنية التي ذكرت في البحث بذكر السورة ورقم الآية ، فإذا ذكرت الآية كاملة قلت سورة كذا آية كذا ، أما إذا ذكرت بعضها قلت سورة كذا من الآية كذا .

٤- تخريج الشواهد الشعرية من مصادرها الأصلية ، مع توضيح ما فيها من معاني غريبة .

٥- توثيق المعلومة المذكورة في البحث من مصادرها الأصلية وذلك بذكر اسم الكتاب والمؤلف والطبعة وسنة النشر في حال ذكر أول مرة ، وبذكر الكتاب والمؤلف فقط في حال تكراره .

٦- ترجمة الأعلام المذكورة في البحث من كتب التراجم .

٧- ذكر أهم نتائج البحث والتوصيات الموصي بها .

٨- إعداد فهرس للمراجع بذكر اسم المرجع كاملاً، مرتباً حسب الترتيب الأبجدي .

٩- إعداد فهرس للموضوعات حسب ذكرها في البحث ، مع ذكر رقم الصفحة لسهولة الوصول إليها .

خطة البحث :

أما عن خطة البحث فقد قسمته إلى مقدمة ، وثلاثة مباحث :

أما المقدمة : فتشتمل على:

- أسباب اختيار موضوع البحث - منهج البحث - خطة البحث .

المبحث الأول : التعريف بالطاهر بن عاشور

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : نشأته وبيئته العلمية وأهم مؤلفاته.

المطلب الثاني : شيوخه.

المطلب الثالث : تلاميذه.

المطلب الرابع : وفاته .

المبحث الثاني : التعريف بكتابه التحرير والتنوير

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : اسمه والباعث على تأليفه

المطلب الثاني : منهجه فيه .

المطلب الثالث : مدة تأليفه .

المبحث الثالث : الشعر ودوره في فهم النص القرآني

ويشتمل على ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم الشعر لغة واصطلاحاً .

المطلب الثاني : دور الشعر في فهم النص القرآني .

المطلب الثالث : ملكة الشعر عند ابن عاشور أسبابها وأثرها على تفسيره .

المبحث الرابع : استعانة ابن عاشور بالشعر لفهم النص القرآني في

كتابه التحرير والتنوير والنماذج عليها

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأول : استعانتته بالشعر في بيان المعنى القرآني.

المطلب الثاني : استعانتته بالشعر لترجيح رأيه.

المطلب الثالث : استعانته بالشعر لتوضيح عادات كانت معهودة عند العرب.

المطلب الرابع : استعانته بالشعر لإبراز جمال التعبير القرآني.

الخاتمة وتتضمن :

- نتائج البحث .
- التوصيات التي توصي بها الباحثة .

الفهارس: وتتضمن:

- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

وختاماً: فإن هذا البحث قد ابتغيت به وجه الله - عز وجل - فإن كان فيه صواباً فبفضل الله ونعمته ، وما كان فيه خطأً أو عجزاً أو تقصيراً فمني فهو من عمل البشر الذي يعتريه كل هذا ، والله نسأل أن يغفر زلاتنا ويجبر نقصنا ويستتر عيبنا ونسأله المن والهداية والفتوح والتوفيق .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

المبحث الأول : التعريف بالطاهر بن عاشور :

المطلب الأول : نشأته وبيئته العلمية :

"هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الشهير بالطاهر بن عاشور، ولد بتونس في أسرة علمية عريقة تمتد أصولها إلى بلاد الأندلس، وقد نبغ من هذه الأسرة عدد من العلماء الذين تعلموا بجامعة الزيتونة، تلك المؤسسة العلمية الدينية العريقة التي كانت منارة للعلم والهداية في الشمال الأفريقي، كان منهم محمد الطاهر بن عاشور، وابنه الذي مات في حياته الفاضل بن عاشور"^(١).

يقول الدكتور بلقاسم غالي متحدثاً عن تلك البيئة التي نشأ فيها الطاهر بن عاشور : "نشأ ابن عاشور في أسرة كريمة بالدين ، جليلة بالفقه ، توارث أهلها المناصب العلمية والسياسية ، نشأ نشأة زيتونية وتدرج في سلم معارفه

(١) انظر ترجمته في مقدمة كتابه "التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

تدرجا سريعا ويعتل نبوغ هذه الشخصية إلى البيئة العائلية عامة والاهتمام المركز عليه من قبل جده للأم خاصة^(١).

على الجانب الآخر كان جده للأب أيضا هو محمد الطاهر بن عاشور "الجد" شخصية علمية لها شأن غير قليل تقلد مناصب هامة كالقضاء والإفتاء والتدريس^(٢).

"حفظ ابن عاشور القرآن الكريم حفظًا متقنًا منذ صغر سنه ، وحفظ المتون العلمية كسائر أبناء عصره من التلاميذ، ثم تعلم ما تيسر له من اللغة الفرنسية"^(٣).

ولقد كان - رحمه الله - ذا همة عالية في طلب العلم ، متفوقا على أقرانه ، وهذا

ما ذكره د / بلقاسم غالي حيث يقول : "يبدو أن الشيخ قد تفوق على جيله من مشايخ الزيتونة فكان آية من آيات الله في لقانة الذهن وأصالة العقل وقوة الحافظة ونفاذ الهمة حفظ القرآن والمتون المنظومة عن ظهر قلب ودرس علوم الشريعة بعمق واطلع على البيان بحذق وأنفق في سبيل العلم نضارة شبابه حتى أصبح فقيها مجتهدا صاحب رأي مصلحا ذا رسالة ، وأديبا

(١) محمد الطاهر بن عاشور ، حياته وأثاره ، د/ بلقاسم الغالي ، دار ابن حزم ، الأولي

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، ص ٥ .

(٢) محمد الطاهر بن عاشور ، حياته وأثاره ص ٣٥ .

(٣) محمد الطاهر بن عاشور ، حياته وأثاره ص ٣٧ .

ناقدا له أسلوب متميز وتحقيق نادر ؛ جمع إلى العلم سمو العالم ونزاهة
المصلح وصبر الباحث" (١) .

وتدرج في المناصب العلمية كما يقول عادل نويهض في كتابه معجم
المفسرين :

"سمي شيخ الجامع الأعظم وفروعه عام ١٩٤٢، ثم شفي عميدا للجامعة
الزيتونية عام ١٩٥٦. كما شارك في تأسيس الجمعية الزيتونية والجمعية
الخلدونية.

انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٥٠، وبالمجمع العلمي
العربي بدمشق سنة ١٩٥٥" (٢) .

أهم مؤلفاته:

كان ابن عاشور مقبلاً على الكتابة والتحقيق والتأليف، فقد شارك في
إنشاء مجلة السعادة العظمى مع صديقه العلامة الشيخ محمد الخضر حسين
سنة (١٩٥٢ م)، وهي أول مجلة تونسية، ونشر بحثاً عديدة خصوصاً في
المجلة الزيتونية ومجلات شرقية مثل هدى الإسلام، والمنار، والهداية

(١) محمد الطاهر بن عاشور ، حياته وآثاره ، ص ٥ .

(٢) معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ، المؤلف: عادل نويهض
، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد ، مؤسسة نويهض الثقافية
للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م
٥٤٢/٢ .

الإسلامية، ونور الإسلام، ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما نشرت له مجلة المجمع العلمي بدمشق" (١) .

ولقد خلف - رحمه الله - عددا كبيرا من المؤلفات في مختلف مجالات العلم والمعرفة، إذ نجد له كتباً في التفسير والحديث والفقهاء، واللغة والأدب والبلاغة حتى في الاجتماع والتاريخ .

له مصنفات مطبوعة من أشهرها: "مقاصد الشريعة الإسلامية" و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة)" (٢) وغيرها (٣) .

المطلب الثاني : شيوخه

كان الشيخ ابن عاشور ذا ثقافة واسعة شملت كل العلوم من لغة وأدب وبلاغة وتفسير وحديث وقراءات وتاريخ ، وقد اكتسب كل هذه العلوم من

(١) انظر قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير - دراسة تأصيلية تطبيقية إعداد: عبيد بنت عبد الله النعيم ، تقديم: أ. د. فهد بن عبد الرحمن == الرومي ، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م ، ص ٣١ .

(٢) الأعلام ، لـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م ، ١٧٤/٦ .

(٣) انظر أليس الصبح بقریب ، لـ محمد الطاهر بن عاشور ، الطبعة الأولى ، دار السلام ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م ، ص ٢٣٠ .

علماء أفاضل امتازوا بثقافة موسوعية في علوم الدين وقواعد اللغة العربية وبلاغتها وبيانها ، نود أن نرجع البصر كرات عليهم حتى يتضح لنا أسباب نبوغه وتوجهه إلى هذه الوجهة في التفسير، ولعل أشهرهم:

١- مصطفى رضوان السوسي:

ولد بمدينة سوسة سنة (١٢٤٤ هـ)، من أسرة منحدره من الجنود الأتراك، عُيِّن عضواً في مجلس تنظيم الدروس بجامعة الزيتونة، مات سنة (١٣٢٢ هـ) ^(١).

٢- جده لأمه الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن الوزير

من العلماء الكتاب أصله من صفاقس مولده ووفاته بتونس ولي الكتابة في حكومتها ١٢٦٢ هـ ، وكان كاتباً خاصاً لأسرار الملك وأحد أعضاء مجلس الشورى الخاص ، وتقلد منصب الوزارة الكبرى سنة ١٣٠٠ هـ توفي ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م ^(٢).

وقد اعتنى الشيخ الوزير بحفيده وأولاه عناية فائقة وأحاله لأن يكون خليفته في الجاه والعلم ، وقد استفاد الشيخ الطاهر بن عاشور من جده استفادة

(١) انظر تراجم المؤلفين التونسيين ، المؤلف: محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م. ٣٦٥/٢.

(٢) الأعلام لـ خير الدين الزركلي ٢٦٨/٦.

كبيرة ظهر هذا في تفسيره فكان كثيراً ما يقول قال جدنا الشيخ الوزير^(١) وسألت الجد الوزير^(٢) وسمعت من شيخنا الجد الوزير^(٣) .

٣- أحمد جمال الدين الفقيه:

ولد ببني خيار ، وتلقى العلم بجامع الزيتونة، ودرس به، ، مات بعد سنة (١٣٢٣ هـ)^(٤) .

٤- الشيخ صالح الشريف :

وهو ينحدر أصله من أسرة جزائرية ، ومن أشهر دروسه تفسيره كتاب الكشاف للزمخشري^(٥) ^(٦)، ولعل هذا له أثر في توجه الشيخ الطاهر بن عاشور لدراسة القرآن دراسة أدبية بيانية .

٥- إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارغني:

(١) التحرير والتنوير ٢١/١ .

(٢) التحرير والتنوير ١٣٩/٢ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٣٥/٢ .

(٤) تراجم المؤلفين ، ل محمد محفوظ ، ٥٠/٢ .

(٥) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، كان إمام عصره من غير ما دفع، تشد إليه الرحال في فنونه، توفي ٥٣٨ هـ . انظر: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ١٦٨/٥ - ١٧٤ باختصار .

(٦) محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره ، ص ٤٥ ، بتصريف .

ولد بتونس سنة (١٢٨١ هـ)، تميز في علم القراءات، وتخرج عليه الشيخ في القراءات السبع والعشر، مات سنة (١٣٤٩ هـ) (١).

٦- الشيخ محمد عبده:

ولد سنة ١٢٦٦ هـ - ١٨٤٩ م ، وتوفي ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م فقيه أزهرى ، تخرج من الجامع الأحمدى بطنطا ، ومن الأزهر بالقاهرة ، وكان من أساتذته جمال الدين الأفغانى " (٢) .

وهو من أهم الأساتذة الذى كان له التأثير الأكبر فى الطاهر بن عاشور وفى مسيرته العلمية ، وفكره الإصلاحى ؛ واتجاهه البيانى والأدبى فى التفسير " تأثر به تأثراً كبيراً وتفاعل مع حركته الإصلاحية ، فلقد زار الإمام محمد عبده تونس سنة ١٩٠٣ م ، وكان عمر الشيخ ابن عاشور ثلاثاً وعشرين سنة وكان فى مقتبل العمر ، وفى عزه أخذاً وعطاءً مدرساً ناجحاً من الطبقة الثانية ، وكان لا يألو جهداً فى أن يلم بكل شاردة وواردة ، سمع بمحمد عبده وبمذهبه الإصلاحى وتشوقت نفسه للقاء هذا المصلح الكبير بعد أن قرأ كثيراً من أفكاره وتشبع بآرائه ، فعلاً تمت اللقاءات فى المحافل

(١) تراجم المؤلفين ، لـ محمد محفوظ ، ٤/٢٢٩ .

(٢) انظر الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، تحقيق محمد عمارة ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ، ١/٣٢٢-٣٢٣ .

العامة والخاصة فحضر بصحبته المآدب التي أقيمت علي شرفه من قبل الأمراء والوزراء وعقدت المجالس العلمية بين الأستاذ الإمام محمد عبده وبين النخبة التونسية وكان شيخ الإسلام ابن عاشور لا يتخلف عنها^(١) .

إن اتصال الطاهر بن عاشور بكل هؤلاء العلماء وغيرهم الكثيرون كان له الأثر البالغ في تكوين شخصيته العلمية وثقافته الأدبية ، وقد برز هذا الأثر أيضا واضحا في مصنفاته خاصة تفسيره (التحرير والتنوير) حيث إن المتأمل في هذا التفسير يلاحظ تنوع معارفه فيه ورسوخ قدمه ودقة مباحثه وفنونه وعدم تهيبه من الاستدراك على الأعلام الكبار ما دام يسندها التحري والدليل فكان بحق " إماما ضليعا في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية"^(٢) " فقيها مجتهدا صاحب رأي ، مسلحا ذا رسالة ، وأديبا ناقدا له أسلوب متميز وتحقيق نادر ؛ فكانت حياته تاريخ أمة في أهم فتراتنا ، وعمله رساليا ، وخلقه قدوة"^(٣) .

المطلب الثالث : تلاميذه

لقد تتلمذ على يد الطاهر بن عاشور ثلة من الأعلام البارزين والذين كان لهم أثر بارز في خدمة العلم ومن أشهرهم :

١- ابن باديس .

(١) الطاهر بن عاشور ، حياته وآثاره ، ص ٤٩-٥٠ ، بتصرف .

(٢) تراجم المؤلفين التونسيين ، لـ محمد محفوظ ، ٣/٣٠٤ .

(٣) محمد الطاهر بن عاشور ، حياته وآثاره ، ص ٥

"عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس في سنة ١٣٠٨ هـ -
١٨٨٩ م

كانت أسرته مشهورة بالعلم والثراء والجاه ، حفظ القرآن على الشيخ محمد المداسي ، وأتم حفظه في السنة الثالثة عشرة من عمره، أخذ عن جماعة من أكابر علماء الزيتونة والذي منهم الشيخ الطاهر بن عاشور والذي كان له تأثير كبير في تكوين عبد الحميد بن باديس اللغوي وفي الشغف بالأدب العربي والاعتزاز به^(١) .

٢- محمد الفاضل بن عاشور .

"محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور ولد سنة ١٣٢٧ هـ -
١٩٠٩ م، أديب خطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابيين، في تونس ، مولده ووفاته بها ، من آثاره (أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي) و (الحركة الأدبية والفكرية في تونس) و (أركان الحياة العلمية بتونس) توفي ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م^(٢) .

٣- محمد الحبيب بن خوجة :

(١) انظر ترجمته في آثار ابن باديس ، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي ، تحقيق: عمار طالبي ، دار ومكتبة الشركة الجزائرية ، الطبعة: الأولى (عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م) ٧٢/١ وما بعدها باختصار .
(٢) الأعلام ، د. الزركلي ٣٢٥-٣٢٦ ، بتصرف .

تلقى العلم على يد الشيخ الطاهر، ولزمه وحضر دروسه التي كان يعقدها في بيته بعد صلاة التراويح في رمضان، وقد تقلد جملة من المناصب التي تقلدها ابن عاشور من قبل مثل: عمادة الكلية الزيتونية، ومنصب الإفتاء في تونس، ثم شغل منصب الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بجدة، وله مجموعة من المؤلفات

والمقالات المتعلقة بدراسة الجوانب اللغوية والبيانية في التحرير والتنوير^(١).

المطلب الرابع : وفاته

لقد قضى الإمام حياته منذ صغره في سعي وجهاد وعطاء وبذل ما شاء الله له أن يبذل من جهود في مجال العلم والتدريس .

توفي - رحمه الله - "عن أربع وتسعين سنة في ضاحية المرسى قرب تونس العاصمة، يوم الأحد رجب (١٣٩٤ هـ - ١٩٧٣ م)، ووري الثرى بمقبرة الزلاج من مدينة تونس"^(٢).

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

يا داعيا للثور والتنوير	ومجددا للعلم بالتحرير.
شهد الجميع بأن فكرك عندهم	شمس الدجى في العلم والتغيير.
أودعت في التفسير علما نافعا	وأجدت في التعبير والتصوير .
وبلغت في النفس شأنًا عاليًا	وحظيت بالتكريم والتقدير .

(١) انظر أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير

والتنوير للباحث: مشرف بن أحمد بن جمعان الزهراني، ص ٢٧، بتصرف .

(٢) محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره ص ٦٨ .

فعلبك من رب الخلائق رحمة ما لاح فجر فاضح بالنور^(١)

المبحث الثاني : التعريف بكتابه التحرير والتنوير.

المطلب الأول : اسم الكتاب والباعث على تأليفه :

اسم الكتاب : "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" والمعروف باسم التحرير والتنوير وهو تفسير بلاغي بياني لغوي ، أفنى فيه المؤلف ثمرة وقته ، وعصارة ذهنه ، وأودعه من المباحث المفيدة النافعة ، والأقوال المحررة حتى صار نبراسا جامعا للفوائد والنكات الأدبية العلمية .

يقول في مقدمة كتابه : "وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير، بحيث ساوى هذا التفسير على اختصاره مطولات القماطير، ففيه أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في

(١) موجز تفسير آيات الصبر عند الطاهر بن عاشور، د. عبد النبي محمد عباس، دار المكتبة العصرية، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص ٥.

التفاسير. وسميته: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" (١).

الباعث على تأليفه :

وهو ما أخبر عنه في مقدمة كتابه فيقول: "قد كان أكبر أمنيتي منذ أمد بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاهد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها ؛ طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفصيل من مكارم الأخلاق" (٢).

المطلب الثاني : منهجه فيه

قدم له ابن عاشور بتمهيد واف ذكر فيه مراده من هذا التفسير معتبرا أن التمسك بما كتبه الأقدمون تعطيل لإعجاز القرآن وتجميد لحكمه فعبّر عن ذلك بقوله: "أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع على وادي السباع" (٣) متوسطا في معترك أنظار الناظرين. وزائرا بين ضباح الزائرين ، فجعلت حقا علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقتي إليها، وأن أفق موقف

(١) التحرير والتنوير ، ٨/١ .

(٢) التحرير والتنوير ، ٥/١ .

(٣) وادي السباع : موضع بين مكة والبصرة " انظر معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، دار صادر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م ، ٣٤٣/٥ .

الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها، فإن الاختصار على الحديث المعاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاذ، ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما أشاده الأقدمون، وآخر أخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون، وفي كلتا الحالتين ضر كثير" (١) .

لكنه اعترف بجهود الأقدمين وأنه استفاد منهم فيقول: "وهناك حالة أخرى يجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعد إلى ما أشاده الأقدمون فنهبه ونزيده وحاشا أن ننفضه أو نببذه، علما بأن غمص فضلهم كفران للنعمة، ووجد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة" (٢) .

كما عدد أهم كتب التفاسير فتراه يقول: "إن أهم التفاسير تفسير الكشاف و المحرر الوجيز و مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (٣) (١) وذكر غير هذه الكتب .

(١) التحرير والتنوير ، ٦/١ - ٧.

(٢) التحرير والتنوير ، ٧/١ .

(٣) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام العلامة سلطان المتكلمين في زمانه، فخر الدين، أبو عبد الله القرشي البكري التيمي، المفسر، المتكلم إمام وقته ، صاحب المصنفات المشهورة، ولد في رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقيل سنة ثلاث، وهو من تلامذة البغوي، كانت وفاته بهراة في يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة . انظر: (طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي ، دار الكتب العلمية - بيروت، ٢/٢١٥ - ٢١٨ باختصار) .

ثم أشار أن تفسيره امتاز عن تفاسير من سبقه وأنه ذكر فيه ما لم يذكره غيره من المفسرين ، فيقول : " وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه وما أجلبه من المسائل العلمية، مما لا يذكره المفسرون، وإنما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من التفاسير ، ولست أدعي انفرادي به في نفس الأمر، فكم من كلام تنشئه، تجدك قد سبقك إليه متكلم وكم من فهم تستظهره وقد تقدمك إليه متفهم" (٢) .

ومن أهم ما يميز منهجه أنه قد انتهج في تفسيره منهجا لا يرضى فيه بجمع القديم واستقصائه بل تتطلع نحو فرز القديم وتهذيبه ومن ثم الإضافة عليه وزيادته من واقع فيض القرآن التي لا تنقضي عجائبه ، يقول " والتفاسير وإن كانت كثيرة فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على كلام سابق بحيث لا حظ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل" (٣) .

وقد وضح هذا المنهج الذي سار عليه في تفسيره فيقول : " وقد اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتمت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي (٤) كتابه المسمى:

(١) التحرير ، ٧/١ .

(٢) التحرير والتنوير ٧/١-٨ .

(٣) التحرير والتنوير ٧/١ .

(٤) هو الشيخ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط أبو الحسن برهان الدين البقاعي الشافعي ولد سنة ٨٠٩هـ في قرية بلبنان، ونشأ بها، من أهم مؤلفاته : مساعد النظر

«نظم الدرر في تناسب الآي والسور» إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفضل القول تتطلع. أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر، ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جملة كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله.

واهتمت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة. وعسى أن يجد فيه المطالع تحقيق مراده، ويتناول منه فوائد ونكتا على قدر استعداده، فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير، ومن أساليب الاستعمال الفصيح ما تصبو إليه همم النحارير^(١)

وقد أتبع كلامه عن تفسيره بعشر مقدمات وبين ذلك فقال: "وها أنا أبتدئ بتقديم مقدمات تكون عوناً للباحث في التفسير، وتغنيه عن معاد كثير"^(٢).

للإشراف على مقاصد الصور، نظم الدرر في تناسب الآي السور وغيرها، وتوفي في دمشق سنة ٨٨٥ هـ. انظر: (إمتاع الفضلاء بترجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري، إلياس بن أحمد حسين - الشهير بالساعاتي - بن سليمان بن مقبول علي البرماوي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ٧٤/٢-٧٩، باختصار).

(١) التحرير والتنوير ٨/١.

(٢) التحرير والتنوير ٩/١.

المقدمة الأولى: في التفسير والتأويل وكون التفسير علما.

المقدمة الثانية : في استمداد علم التفسير.

المقدمة الثالثة : في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه.

المقدمة الرابعة : فيما يحق أن يكون غرض المفسر.

المقدمة الخامسة : في أسباب النزول.

المقدمة السادسة : في القراءات.

المقدمة السابعة : قصص القرآن.

المقدمة الثامنة في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

المقدمة التاسعة في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها.

المقدمة العاشرة في إعجاز القرآن.

المطلب الثالث : مدة تأليفه

لقد استغرق ابن عاشور في تأليفه لكتابه مدة قاربت على الأربعين سنة وهو ما أشار إليه في مقدمة تفسيره قائلا : " كان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف. فكانت

مدة تأليفه تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر. وهي حقبة لم تخل من أشغال صارفه، ومؤلفات أخرى أفنانها وارفة^(١).

وقد ختمه بكلمة عظيمة مؤثرة قال فيها: "إن كلام رب الناس، حقيق بأن يخدم سعيا على الرأس، وما أدى هذا الحق إلا قلم المفسر يسعى على القرطاس، وإن قلّمي طالما استن بشوط فسيح، وكم زجر عند الكلال والإعياء زجر المنيح، وإذ قد أتى على التمام فقد حق له أن يستريح"^(٢).

المبحث الثالث: الشعر ودوره في فهم النص القرآني.

لقد اختار الله تعالى العربية مظهرا لوحيه، ومستودعا لمراده، وأن يكون "العرب هم المتلقين أولا لشرعه وإبلاغ مراده لحكمة علمها: منها كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشارا، وأكثرها تحملا للمعاني مع إيجاز لفظه، ولتكون الأمة المتلقية للتشريع والناشرة له أمة قد سلمت من أفن الرأي عند المجادلة، ولم تقعد بها عن النهوض أغلال التكالب على الرفاهية"^(٣).

الأمر الذي يستلزم على كل مفسر لكتاب الله معرفة أخبار العرب وتراثهم الذي خلفوه من شعر خطابية، وقصص، وأمثال، وأن يوظفه لفهم النص القرآني وهو ما أشار إليه ابن عاشور في تحريره حيث يقول: "فبمعرفة أخبار العرب يعرف ما أشارت له الآيات من دقائق المعاني، فنحو قوله

(١) التحرير والتنوير، ٦٣٦/٣٠.

(٢) التحرير والتنوير، ٦٣٦/ ٣٠.

(٣) التحرير والتنوير ٣٩/١.

تعالى: وَمِنْ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَصَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَبَاتِ (١٦٤) (١) وقوله:
وَمِنْ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ (١٦٤) (٢) يتوقف على معرفة أخبارهم عند العرب" (٣) .

فالشعر هو المعيار الأرقى لفصاحة اللغة العربية قبل الإسلام اتخذها بعض الصحابة ملاذا يبدد حيرتهم ، كلما اشتبهت عليهم ألفاظ من غريب القرآن ، وأشكلت تراكيبه ، والتبست معانيه

كما حدث مع سيدنا عمر بن الخطاب حيث قال : " أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل " قالوا وما ديواننا؟ قال : " شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم " وذلك حين سئل عن معنى قوله تعالى " أو يأخذهم على تخوف" فقام شيخ من هذيل وقال : هذه لغتنا ، التخوف : التنقص ، فقال عمر : هل تعرف العرب ذلك في أشعارها ؟ فقال نعم وروي قول الشاعر :

تخوف الرجل منها تامكا قردا ... كما تخوف عود النبعة السفن (٤) .

(١) سورة النحل : من الآية ٩٢ .

(٢) سورة البروج : الآية ٤ .

(٣) التحرير والتنوير ٢٥/١ ، بتصريف يسير .

(٤) هذا البيت في وصف ناقه ، طالت بها الأسفار، فنحل وبراها، وهزل جسمها.. والتامك: السنام.. والقرد: الذي تجعد شعره من الهزال والضعف والنبع: شجر القسي، والسفن: أداة تنحت بها العصي ونحوها حتى تسوى وتتصل ، انظر هامش التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب دار الفكر العربي القاهرة ، ٢٠٢/١٠ ، ومعنى

المطلب الأول : مفهوم الشعر لغة واصطلاحاً :

الشعر لغة :

"الشين والعين والراء أصلان معروفان، يدل أحدهما على ثبات، والآخر على علم" (١).

وجاء في العين للفراهيدي (٢) أن الشَّعْرُ: " هو القريض المحدد بعلامات لا يجاوزها، وسُمِّي شعراً، لأن الشاعر يفظن له بما لا يفظن له غيره من

البيت "إن الرجل أثر سنام الناقة وتنقص منها كما ينقص السفن من العود " انظر هامش الشعر في ضوء الشريعة الإسلامية ، لـ محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل ، الجامعة الإسلامية ، الطبعة: السنة العاشرة، العدد الأول، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ م ، ص ١٥٣.

(١) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ٣/١٩٣.

(٢) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليعمدي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذ من الموسيقى وكان عارفاً بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي ، ولد ومات في البصرة ، من مؤلفاته: العين ، معاني الحروف ، جملة آلات العرب وغيرها توفي سنة ١٧٠هـ "انظر الأعلام لـ الزركلي، ٢/٣١٤.

معانيه^(١) ، وفي التهذيب : " يقال شعرت بكذا أشعر، أي فطنت له وعلمته. وليت شعري: لئيت علمي"^(٢) .
ومن خلال تلك التعريفات يتضح أن لفظ " شعر " يأتي بمعنى العلم والإدراك والتعقل والاطلاع على دقائق الأمور كما فيه معنى الإحساس والشعور .

الشعر اصطلاحاً :

جاء في تعريف الشعر اصطلاحاً أقوالاً متعددة منها :
" أنه كلام منظوم بان عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بها خص به من النظم الذي إن عدل به عن جهته مجته الأسماع وفسد على الذوق"^(٣) .
وقيل : " هو كلام موزون مقفى يدل على معنى"^(١) .

(١) كتاب العين ، لـ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، ٢٥١/١

(٢) تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م ، ٢٦٨/١.

(٣) عيار الشعر، لـ محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن ، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ص ٥

وعرفه ابن خلدون^(٢): "فقال هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف المفصل بأجزاء متفككة في الوزن ، مستقل كل جزء منها في عرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به"^(٣) .
ويري أحد الباحثين أن الشعر اصطلاحاً : " فن أدبي يصور الحياة كما يحسها الشاعر ، ويعتمد على الإيقاع ، والعاطفة ، والخيال"^(٤) .
ويري البحث -والله أعلم - أن تعريف ابن خلدون يعد تعريفاً جديداً للشعر حيث حدده بأنه لا بد أن يجري على أساليب العرب ، ولا يعد شعراً عنده إذا لم

(١) نقد الشعر ، لـ ابو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، المكتبة الأزهرية للتراث - مصر - القاهرة ، الطبعة الأولى ، ص ١١ .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن خلدون الحضرمي، الاشبيلي السلف، التونسي، أبو زيد، ولي الدين، المؤرخ، الفيلسوف، وعالم الاجتماع ورجل السياسة ، ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ ، اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر" ومن كتبه (شرح البردة) وكتاب في (الحساب) ورسالة = في (المنطق) وغيرها " انظر الأعلام لـ للزركلي ٣/٣٣٠ وما بعدها ، ومعجم تراجم المؤلفين التونسيين ، لـ محمد محفوظ ، ٢/٢١١ وما بعدها .

(٣) مقدمة ابن خلدون لـ عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن خلدون الحضرمي ، دار نهضة مصر للطباعة ، الطبعة الأولى ص ٥٨٧ .

(٤) بحث بعنوان القرآن الكريم والشعر دراسة موضوعية ، د رياض محمود جابر قاسم ، الجامعة الإسلامية - غزة ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م ، ص ٧ .

يجري على أساليب العرب ، أما التعريفات السابقة فقد حصرت الشعر في نطاق الوزن والقافية فقط .

المطلب الثاني : دور الشعر في فهم النص القرآني :

نزل القرآن بلسان عربي مبين قال عز من قائل : **وَمَا نُنزِّلُ رَبِّ الْأَمِينِ ﴿١٦٣﴾** نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿١٦٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٦٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ (١) نزل على أفصح اللغات وأكملها وأظهرها وأبينها فلا يجوز تفسيره بغير ما عرف به ، بل إننا لا نبالغ إذا ما قلنا إن المفسرين في استشهادهم بالشعر في تفسير القرآن كانوا مدفوعين إلى ذلك بتوجيه من القرآن الكريم ذاته ، "وذلك لما كرر من ذكر اللسان العربي المبين، واللسان العربي هو الشعر وكل ما نطق به أصحاب السليقة في حواضرهم وبواديهم ، وحفظ القرآن يقتضي حفظ اللسان الذي نزل به القرآن ، والله سبحانه لما وصف كتابه بأنه نزل بلسان عربي مبين لم يكن هذا الوصف مدحا للقرآن ؛ لأنه لا يمدح بأفضل من أنه كلام الله ، وإنما هو مدح لهذا اللسان العربي (٢) .

(١) سورة الشعراء الآيات : ١٩٢-١٩٥ .

(٢) الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم ، أهميته ، وأثره ، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به ، لـ د/عبد الرحمن بن معاضه الشهري ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ١٤٢٩ ، ص٦٠ .

وهذا ما ذكره لنا ابن القيم^(١) - رحمه الله - حيث يقول: " للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها ولا يجوز تفسيره بغير عرفة والمعهود من معانيه فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به"^(٢) .

ومن ثم كانت معرفة اللغة وأسرارها شرطا مهما وضروريا لكل من يتصدى لتفسير كتاب الله - عز وجل - فمن أراد فهمه فمن جهة لسان العرب يفهم

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، الشيخ الإمام الفاضل المفتن شمس الدين الحنبلي المعروف بابن القيم الجوزية ، من مصنفاته : زاد المعاد في هدى خير العباد ، مفتاح دار السعادة ، معالم الموقعين عن رب العالمين ، وغيرها " انظر ترجمته في أعيان العصر وأعوان النصر ، لـ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي ، تحقيق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد ، قدم له: مازن عبد القادر المبارك ، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، ٣٦٦/٤ وما بعدها . و" الوافي بالوفيات ، لـ صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى - دار إحياء التراث - بيروت ، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ١٩٥/٢ وما بعدها .

(٢) بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن القيم الجوزية ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ، ٢٧/٣ - ٢٨ .

وهذا ما وضحه أيضا الشاطبي^(١) في الموافقات حيث يقول: "إن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، لأن الله تعالى يقول: وَمِنْ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴿١٦٤﴾ وقال: ^(٢) وَمِنْ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ^(٣). وقال: وَمِنْ لِسَانِ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٤﴾ ^(٤)، وقال: وَمِنْ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ لَأَنجَمِيٍّ وَعَرَبِيٌّ ﴿١٦٤﴾ ^(٥) إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي ولسان العرب، لا أنه أعجمي ولا بلسان العجم، فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة"^(٦).

(١) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية ، من كتبه الموافقات في أصول الفقه ، المجالس ، الإفادات والانشادات ، الاتفاق في علم الاشتقاق ، وغيرها " الأعلام لـ الزركلي ، ٧٥/١

(٢) سورة يوسف من الآية : ٢ .

(٣) سورة الشعراء من الآية : ١٩٥ .

(٤) سورة النحل من الآية : ١٠٣ .

(٥) سورة فصلت من الآية : ٤٤ .

(٦) الموافقات ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، تحقيق / أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ١٠٢/٢ .

كما وضح ذلك أيضا الإمام السيوطي^(١) فيقول: " من لم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير"^(٢).

ولاشك فإن الشعر لون من ذلك التراث الذي خلفه العرب؛ بل هو السجل الذي دونوا فيه كل ما يخص حياتهم ومعيشتهم، وبطولاتهم وأمجادهم، وبأسهم وشدهم، وفرحهم وغضبهم، وكرمهم ووفاءهم، وهو أيضا سجل لأيامهم ووقائعهم وأصولهم وأنسابهم.

يقول ابن خلدون في مقدمته: "لقد كان الشعر من أعرق الفنون عند الأمم كلها؛ بل هو أهم فن أدبي عند العرب على الإطلاق؛ حيث سجلوا تراثهم وتجاربهم في الحياة، واعتبروه مجالا للتعبير عن العواطف والحوادث التي تحدث على كل المستويات، كما وجعلوه ديوان أخبارهم وشاهد صوابهم

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن عثمان الخضيرى السيوطى، جلال الدين، إمام حافظ، مؤرخ، محدث، مفسر، أديب. نشأ في القاهرة يتيما وحفظ القرآن وله دون ثمان سنين، له نحو ستمائة مصنف منها: الإتيقان في علوم القرآن، الإكليل في استنباط التنزيل، التحبير لعلم التفسير وغيرها، توفي سنة ٩١١هـ - ١٥٠٥م، انظر ترجمته في "معجم المفسرين" من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، لـ عادل نويهض، ١/٢٦٤ - ٢٦٥، باختصار.

(٢) الإتيقان في علوم القرآن، لـ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م، ٤/٢١٢.

وخطئهم ، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم ، وكانت ملكته مستحكمة فيهم منذ قديم الزمان " (١).

وهذا يفسر لنا مدي احتفاء القبائل بالشعر والشعراء فقد " كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم" (٢) .

لقد شكل الشعر أهمية كبرى في كونه مدخلا لفهم أسرار التعبير القرآني والاستشهاد به على غريب القرآن ومفرداته وبيانه وخير دليل على ذلك الروايات التي رويت عن حبر الأمة عبد الله بن عباس (٣) والتي توضح أهمية

(١) مقدمة ابن خلدون ، لـ عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن خلدون الحضرمي ، ص ٣٦٧ .
(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، لـ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ٦٥/١ .

(٣) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي . ، يكنى أبا العباس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكان ابن ثلاث عشرة سنة إذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد عبد الله ابن العباس في الشعب قبل خروج بني هاشم منه، وذلك قبل الهجرة بثلاث ، مات - رضي الله عنه - سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين سنة وقيل غير ذلك " انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ٩٣٣/٣ وما بعدها باختصار وتصرف .

الشعر في فهم غريب القرآن و استشهاده بالشواهد الشعرية عند تفسيره
لكتاب الله .

من ذلك ما روي عن عكرمة^(١) قال : " ما سمعت ابن عباس يفسر آية من
كتاب الله عز وجل إلا نزع فيها بيتاً من الشعر، وكان يقول: إذا أعياكم
تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر، فإنه ديوان العرب" ^(٢) . وروى
عن سعيد بن جبير^(٣) ويوسف بن مهران^(٤) كانا يقولان: سمعنا ابن عباس

(١) عكرمة مولى ابن عباس الهاشمي القرشي ، من علماء الناس في زمانة بالقرآن والفقه مات
سنة سبع وقيل خمس ومائة وكان له يوم مات أربع وثمانون سنة ، " انظر : رجال صحيح
مسلم ، لـ أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن مَنجُويه ، تحقيق: عبد الله
الليثي ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ ، ١١٠٩/٢ - ١١٠ باختصار .

(٢) وقال- رضي الله عنه - ذلك عندما سئل عن تفسير قوله تعالى "يوم يكشف عن ساق "
انظر إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لأبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله
بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين ، تحقيق: وهبي سليمان غاوجي الألباني
، دار السلام للطباعة والنشر - مصر ، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، صد ١٣٤ =.
== وانظر " الإتيان ، ٢١/٣ .

(٣) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله، من سادات التابعين علماء،
وفضلاً، وصدقا، وعبادة، وواحد من أقدم مفسري القرآن. حبشي الأصل، من موالى بني
والبة بن الحارث، من بني أسد أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، وسمع منه عمرو بن
دينار، وجعفر بن إياس، والأعمش ، توفي سنة ٩٥ هـ - ٧١٤ م . " انظر معجم المفسرين
«من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ، لـ عادل نويهض ، ٢٠٨/١ .

(٤) يوسف بن مهران البصري ، روى عن: جابر بن عبد الله، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب،
وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وروى عنه: علي بن زيد بن جدعان
، انظر ترجمته " تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، لـ يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف،

يسأل عن الشيء بالقرآن، فيقول فيه هكذا: أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا" (١) وغيرها من الروايات (٢).

"هذه الثروة الشعرية التي يحفظها ابن عباس - رضي الله عنه - جعلته يوثق التفسير بالشعر، فما من كلمة أو آية إذا احتيج إلى فهم معانيها وتفسير مفرداتها إلا استشهد عليها ببيت أو أبيات من الشعر وكان هو رائد الطريقة اللغوية الشعرية في تفسير القرآن الكريم" (٣).

وهكذا كان الصحابة والتابعون -رضوان الله عليهم- " ينهجون منهاجا يتلخص في الاسترشاد بحديث رسول الله وبروح القرآن وبالشعر العربي

أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ٤٦٣/٣٢.

(١) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ٢٤/١.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٢٤/١-٢٥، والجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ، ٥٨/١.

(٣) المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، د يحيى وهيب الجبوري - بيروت دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٧، الطبعة الأولى، ص ١٧٢.

والأدب الجاهلي بوجه عام ثم عادات العرب في جاهليتها وصدر إسلامها وما قابلهم من أحداث" (١) .

يقول الإمام السيوطي في الإتقان : " جاء عن الصحابة والتابعين - كثيرا - الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر" (٢) .

"لقد تلقت أصحاب النبي - عليه السلام - هذا البيان - المنزل على رسولهم - غصاً طرياً وأخذت به وسعت لتحقيقه مضامينه بيناً لا لبس فيه ؛ فلسانه لسانهم ، وبيانه طريق العرب ومنبر فخرهم ، وميدان فضائهم وسلامهم الذين لا يبنوا أمام الخصوم وفي سائر النجوم ، ولقد جاء القرآن وفق أساليب العرب المعهودة ، وإن كان لأسلوب القرآن تميز لا ينكره القريب ولا البعيد ، لا من بلغ من البيان شأواً أو من نزلت به عيوب اللحن قدراً ، وقد تفاوتت العرب في فهمه وتأويل معانيه ، تفاوتت الطبائع والاستعدادات والميول لهم ، واختلفت في سعة الفهم وأساليبه" (٣) .

(١) انظر إعراب القرآن وبيانه ، لـ محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش ، دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ ، ٣٠٦/٥ .

(٢) انظر : الإتقان في علوم القرآن ، لعبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي ، ٦٧/٢ .

(٣) من رسالة دكتوراه بعنوان الملامح الدلالية في كتب غريب القرآن "الدلالات التركيبية والمعجمية للباحث حسن أحمد هود بن سميط ، الأردن ، جامعة اليرموك ، ٢٠٠٤ ، المقدمة ، بتصرف يسير .

ومن هنا بدأ الاهتمام بدور الشعر في فهم المفردة القرآنية ودلالاتها اللغوية، وذلك نظراً لما يتضمنه الشعر من ثراء لغوي، ولما يحتويه من خصائص الأسلوب العربي المبين "لذا حرص أكثر المفسرين على حفظ الشعر وقراءة الدواوين ودراستها حتى ذكر الواحدي انه درس اللغة ودواوين الشعراء على شيخه العروضي" (١) .

ولهذا عد الإمام الشافعي معرفة الشعر شرطاً أساسياً للمفسر فيقول ما نصه: " لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله، بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه ومتشابهه، ثم يكون بعد ذلك بصيراً بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ويكون بصيراً باللغة، وبصيراً بالشعر" (٢) .

ومع أن هذه الدعوات صدرت من الرعيل الأول من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيد أن فريقاً من المفسرين انصرف عن الولوج في الشواهد الشعرية لتفسير الآيات القرآنية ؛ وذلك بداعي الحذر من الدلل في كتاب الله وقد ذكر الإمام السيوطي في رواية عن الإمام أحمد سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال: ظاهره المنع" (٣) .

(١) الشاهد الشعري في تفسير القرآن، لـ عبدالرحمن الشهري ، ص ٢٠٩ .

(٢) انظر: الفقيه و المتفقه لـ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي ، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغزالي ، دار ابن الجوزي - السعودية ، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ ، ٣١٣/٢ - ٣١٤ ، بتصريف .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ، لـ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ،

يقول ابن عاشور ردا على تلك الرواية: " فهو عجيب وإن صح عنه فلعله يريد كراهة أن يذكر الشعر لإثبات صحة ألفاظ القرآن ، كما يقع من بعض الملاحدة " (١) .

وهذا ما أفاده السيوطي أيضا في الرد على تلك الرواية حيث يقول : "والكراهة تحمل على صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالبا إلا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها" (٢) .

وأبلغ ما يقال في هذا المقام أن الإسلام لم يقف موقف المعادي للشعر، ولم يذمه ، بل هناك كثير من الروايات توضح تشجيع النبي للشعراء المسلمين على قول الشعر، وكان النبي يستمع للشعر ويستمتع به، وكذلك كان يفعل الصحابة ، كما أن القرآن لم يذم جموع الشعراء، بل ذم المنافقين والكذابين منهم الذين يوظفون هذا الفن الراقي للتكسب على حساب القيم والفضائل ، وقد مدح الشعراء الصالحين الذين وظفوا هذا الفن الراقي لخدمة الحق والعدل والفضيلة بقوله: وَمِنَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا (١٦٤) (٣) .

(١) التحرير والتنوير ٢٣/١ .

(٢) الإيتقان ٢٠٩/٤ .

(٣) سورة الشعراء من الآية ٢٢٧ .

ومن هنا يتضح أن عزوف بعض المفسرين عن الشعر كان ورعا وكراهة أن يصرف معنى من معاني القرآن إلى غير مقصوده ، أما ما عليه أكثر المفسرين فهو الإكثار من ذكر الشواهد الشعرية عند تفسيرهم للقرآن الكريم .
ومن أهم كتب التفاسير التي اعتنى أصحابها بالشعر وبدوره الفعال في فهم معاني القرآن، جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام الطبري حيث كان على معرفة تامة بالشعر الذي وظفه في تفسيره ، وأدرك ما حفلت به الشواهد الشعرية من أساليب الفصاحة والبيان يقول صاحب المثل السائر :
" غلط مفسري الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى وما فيها من الكلمات اللغوية، وتبيين مواضع الإعراب منها، دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة" (١) .

وقد أدرك ذلك الإمام الطبري في تفسيره فتراه كثيرا يستشهد بالشعر عند تفسيره آي القرآن

فمثلا عند تفسير كلمة اللبوس في قوله تعالى : **وَمِنْ وَعَلَّنَهُ صَنْعَةَ لُبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ** (٢) ، يقول: " واللبوس عند

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لـ نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت ، عام النشر: ١٤٢٠ هـ ، ص ٦٢ .

(٢) سورة الأنبياء من الآية ٨٠ .

العرب: السلاح كله، درعا كان أو جوشنا أو سيفاً أو رمحا، يدلّ على ذلك قول الهذلي^(١) :

وَمَعِي لَبُوسٌ^(٢) لِّلْبَيْسِ كَأَنَّهُ ... رَوْقٌ بِجِبْهَةِ ذِي نِعَاجٍ مُّجْفَلٍ^(٣) (٤) .

وغيرها من الأمثلة كثير .

ومن المفسرين أيضاً زخر تفسيرهم بالشعر مستعينين به في فهم

النص القرآني البحر المحيط^(٥) لأبي حيان الأندلسي^(١) ، الكشاف

(١) هو عامر بن الحليس، وهو جاهلي . " انظر الشعر والشعراء ، لـ أبو محمد عبد الله بن مسلم

بن قتيبة الدينوري ، دار الحديث، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ ، ٦٥٩/٢ .

(٢) اللبوس اسم للسلاح بكل أنواعه ، أما البئس فهو الشجاع ، وأراد بذى النعاج يعنى الثور ،

والنعاج هي البقر ، وأما الروق فهو القرن ، والمجفل هو المسرع في الرعي والذي شبع

وامتلاً من كثرة رعيه . "انظر ديوان الهذليين ، الجمهورية العربية المتحدة ، الدار القومية

للطباعة والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ، ص ٩٨ .

(٣) ديوان الهذليين ، ص ٩٨ ، والمعنى العام للبيت أنه "شبه صاحبه في صلابته واندماجه بالقرن

يعني ثوراً وحشياً ، انظر المعاني الكبير في أبيات المعاني ، لـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

الدينوري ، المحقق: المستشرق د سالم الكرنكوي وآخرون ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية الطبعة

الأولى ١٣٦٨ هـ ، ١٩٤٩ ، ٥٥٠/١ .

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن ، لـ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو

جعفر ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ -

٢٠٠٠ م ، ٤٨٠/١٨ .

(٥) البحر المحيط في التفسير ، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف

بن حيان أثير الدين الأندلسي ، تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر - بيروت

، الطبعة: ١٤٢٠ هـ ، ٣٧/١ - ٣٩ - ٥١ - ٦٠ - ٨٥ - ٨٦ - ٩٣ - ١٠٣ - ١١١ -

١٦٥ ، ١٣٠/٢ - ١٣١ - ١٥٦ - ١٧٤ ، والكتاب يزخر بالأمثلة .

للزمخشري^(٢) ، والدر المصون^(٣) لسمين الحلبي^(٤) وغيرهم .

المطلب الثالث : ملكة الشعر عند ابن عاشور أسبابها وأثرها في

تفسيره .

لا يتوفر الذوق لدى المفسر إلا لمن عنده معرفة بأساليب العرب في أشعارهم وخطبهم وأمثالهم ، فلا مانع إذن أن يستشهد في فهمه لمراد الآية بشعر العرب أو أي شيء من كلامهم لتحصل له تلك الملكة ، يقول ابن

(١) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجباني، النَّفْزِي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة. وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفي فيها، بعد أن كف بصره . انظر "الأعلام للزركلي ، ١٥٢/٧ .

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، للزمخشري ، مثل ٢٢/١-٢٣-١١٨-٢٥٧-٣٨١-٤٢٥-٤٧٧ ، ٣٢٦/٢ .

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، لـ السمين الحلبي ، ١٤/١-١٥-٢٦-٢٧-٣٦-٤٧-١٦٣ ، ١٠٦-٨٠/٢ ، ١٢٩-١٠٣-٩٩-٨٧/٣ ، وغيرها الكثير .

(٤) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي السمين ، صاحب الإعراب المشهور شهاب الدين نزيل القاهرة ، قال ابن حجر كان ماهرا في النحو لازم أبا حيان إلى أن فاق أقرانه ، وله تفسير القرآن الكريم وإعرابه وشرح التسهيل وشرح الشاطبية وكانت وفاته سنة ست وخمسين وسبعمائة ، انظر " طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأندوؤوي من علماء القرن الحادي عشر ، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي ، مكتبة العلوم والحكم - السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ص ٢٨٧ .

عاشور- رحمه الله - : "ولذلك- أي لإيجاد الذوق أو تكميله- لم يكن غنى للمفسر في بعض المواضع من الاستشهاد على المراد في الآية ببين من الشعر أو بشيء من كلام العرب لتكميل ما عنده من الذوق، عند خفاء المعنى، ولإقناع السامع والمتعلم الذين لم يكمل لهما الذوق في المشكلات"^(١).

فلا ريب أن من يقدم على الشريعة فهما وتدريسا وتأليفا يستوجب عليه الإمام بلغة القرآن والسنة ، لأن علم العربية هو السلم الذي يرتقي به إلى فهم الخطاب"^(٢) .

والشاطبي يأخذ بنا بعيدا في تأصيل أهمية اللغة العربية للعلوم الشرعية إذ يقول : " الشريعة عربية، وإذا كانت عربية؛ فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم؛ لأنهما سيان في النمط ما عدا وجوه الإعجاز، فإذا فرضنا مبتدئا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة"^(٣) .

(١) التحرير ، ٢١/١ ، بتصرف .

(٢) أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية ، لـ يوسف بن خلف العيساوي ، دار ابن الجوزي الطبعة الأولى ، السعودية ، ١٤٣٠ هـ ، ص ٦٦ .

(٣) الموافقات إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠ هـ) ، ٥٣/٥ .

ولهذا كان للشعر مكانة بارزة في التحرير والتنوير ولقد ذكر أحد الباحثين أن عدد الشعراء الذين احتج ابن عاشور بشعرهم في التحرير بلغوا أكثر من مائة وأربعين شاعرا^(١) .

كما أن المطالع لتفسيره يلحظ أنه يقبل على الشعر بثقافة أدبية واسعة، يلمسها القارئ فيما يستدل به من أشعار، يتناولها بالتحليل والتوضيح لمدلولات ألفاظها، وتراكيب معانيها؛ معتمدا في كل ذلك على ذوقه الأدبي، وثقافته، ومعرفته بالشعر ممارسة نظما ونقدا.

ويمكننا من خلال ما ذكرنا أن نقول - مطمئنين - أن الطاهر بن عاشور يعد رائدا من رواد هذا المنهج في العصر الحديث ، وقد ساعده على تفوقه في هذا المنهج عدة أمور :

(١) وقد أكثر ابن عاشور في تفسيره كله من ذكر الشواهد الشعرية في العصر الجاهلي، ومن الشعراء الذين أتى بأبياتهم: المتلمس، وحاتم بن عبد الطائي، وأبو الطمحن القيني، وحميد بن ثور، وعمرو بن معد يكرب، وسحيم بن وثيل، وعنترة العبسي، وأوس بن حجر، ولبيد بن ربيعة العامري، وامرؤ القيس، وذو الإصبع العدواني، والوليد بن المغيرة، وعروة بن أذينة، وعلقمة بن عبدة الملقب بالفحل، والمعلوط القويعي، وعمرو بن البراقة النهمي، وقيس بن الحظيم، وبشامة بن حزن، والحريث بن كدي، والخطيل بن أوس، وغيرهم كثيرون ، ومن شعراء العصر الأموي الفرزدق وجريز ، ومن الشعراء العباسيين أبو تمام ، " منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير ، نبيل أحمد صقر ، الدار المصرية - القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١ -

أولاً: المنزلة الأدبية الرفيعة :

وهذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان ، وليس أدل على ذلك أكثر من هذه المؤلفات الأدبية والنقدية التي تشهد لصاحبها بعلو كعبه وريادته ومنها :

تحقيق ديوان بشار^(١) حيث قدم الشيخ في هذا الديوان بمقدمة طويلة اشتملت على دراسة نقدية للشاعر بشار بن برد بلغت مائة وعشرين صفحة ، تحدث فيها عن نسبه وصفاته ومدى تأثير ذلك على اتجاهه الشعري ، كما تحدث عن مكانته الشعرية وسعة علمه بالعربية وتفننه فيها ، ومرتبته الشعرية ، وعن نثره واهتماماته وعن نقده للشعراء^(٢) .

وقد حقق كتاب شرح سرقات المتنبي ومشكل معانيه وله فيه آراء نقدية تتم عن خبرة نقدية كما جاء في تعليقه على شرح المؤلف على قول المتنبي:

وقد وجلت القلوب منك حتى غدت أوجالها فيها وجالا

(١) بشار بن برد كان شاعراً مجيداً مقلقاً ظريفاً محسناً، خدم الملوك وحضر مجالس الخلفاء، وأخذ فوائدهم، وكان يمدح المهدي ويخضر مجلسه، وكان يأنس به ويدينه ويجزل في العطايا، وكان صاحب صوت حسن ومنادمة، وكان بشار يعد من الخطباء البلغاء الفصحاء وله قصائد وأشعار كثيرة، وكانت وفاته سنة سبع، وقيل: ثمان وستين ومائة " انظر طبقات الشعراء ، لـ عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف - القاهرة ، الطبعة: الثالثة ، ص ٢١ ، باختصار .

(٢) انظر : ديوان بشار بن برد ، جمع وتحقيق / محمد الطاهر بن عاشور ، طبعة وزارة الثقافة ، الجزائر ٢٠٠٧ ، ص ١ : ١٢٠ .

حيث رأى أن (أوجال) و(وجال) في البيت جمعان لمفرد واحد هو (وجل) خالف الشاعر بينهما لمجرد التفنن ورعاية الوزن ، وهذا التعليق لم يرض ابن عاشور حيث قال: "إن إيثار وجالا لجمع وجل ليس مجرد تفنن ولكنه للدلالة على كثرة الأوجال أي : لم تزل الأوجال متكررة حتى تكاثرت"^(١) وغيرها من المؤلفات والتي تشهد لصاحبها بعلو منزلته الأدبية وثقافته الشعرية وخبراته النقدية ، يقول د/ بلقاسم الغالي: "إن استعراضنا لمؤلفات ابن عاشور تشير إلى المنحنى العام لتوجهه ، إذ يتبوأ الجانب اللغوي والأدبي منزلة هامة في فكره ؛ فقد اهتم بدواوين فحول الشعراء فشرحها وعلق عليها وحقق وشرح كتباً أدبية ونقد القصائد ووضح المعلمات ، وكان يثير قضايا أدبية ونقدية كثيرة من خلال مؤلفاته ، وخلاصة الرأي فإن هذا الجانب لا يزال يحتاج إلى الجهود الجبارة للكشف عنه ؛ لأن الشيخ ناقد وراوي من رواة الشعر وأديب امتلك ناصية الآداب العربية"^(٢) .

ثانياً : سعة الاطلاع :

يُعد الشيخ الطاهر بن عاشور من العلماء الأفاضل ، فقد تعددت معارفه وتنوعت جوانب علمه في شتى فروع العلم كما تميزت بدقة الاستنباط وسعة الاطلاع وعمق التفكير .

- (١) سرقات المتنبي ومشكل معانيه ، ابن بسام النحوي ، تحقيق / الطاهر بن عاشور ، طبعة الدار التونسية ، ص ٨٥ .
- (٢) شيخ الجامع الأعظم ، محمد الطاهر بن عاشور ، حياته وآثاره ، د/ بلقاسم الغالي ، ص ٢٠٩ .

وقد اكتسب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور هذه الملكة من أساتذته - كما
وضحنا - والذين امتازوا بثقافة موسوعية في علوم الدين وقواعد اللغة
العربية وبلاغتها وبيانها وبديعها إلى جانب قدرة على التبليغ ومعرفة بطرق
التدريس والتركيز على تربية الملكات في العلوم .

وقد أقر كل الدارسين للشيخ ابن عاشور بتمتعه بتلك الملكة فهو إمام متبحر
في العلوم الإسلامية ، واسع الثراء من كنوزها ، يقول عنه الشيخ محمد
البشير الإبراهيمي^(١) : "الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور علم
من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره فهو إمام متبحر في
العلوم الإسلامية"^(٢) .

ثالثا: سرعة الحفظ وقوة الذاكرة:

أنعم الله تعالى على شيخنا ابن عاشور بسرعة الحفظ وقوة الذاكرة فحفظ
القرآن الكريم حفظا متقنا منذ صغر سنه وحفظ المتون العلمية فقد كان رحمه

(١) محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي: مجاهد جزائري، من كبار العلماء ، وكان من
أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد ، وله شعر منه (ملحمة)
في تاريخ الإسلام والمجتمع الجزائري والاستعمار، قال: انها ٣٦ ألف بيت وكان
ينشر مقالاته في جريدة البصائر، بالجزائر وهو رئيس تحريرها، فجمعت المقالات =
=في كتاب (عيون البصائر - ط) وهو من خطباء الارتجال ، توفي ١٣٨٥ هـ -
١٩٦٥ م ، انظر الأعلام لـ الزركلي ٥٤/٦ باختصار .

(٢) راجع: دائرة المعارف ص ٤١ بتصرف ، مقالات الإمام محمد الطاهر ابن عاشور ،
إعداد الأستاذ علي الرضا الحسيني ، ص ١٧ .

قوي العارضة سريع البديهة حافظا لآراء العلماء ، يقول عنه د / بلقاسم الغالي : " كان خزانة علم تنتقل يجد لديه كل طالب بغيته ، أعانه على حصول ذلك وبلوغ المرتبة العالية العجيبة فيه اشتغاله المتواصل بالمراجعة والتدريس والتحقيق والتأليف، مع صحة ذهن، وجودة طبع، وقوة عارضة، وطلاقة لسان"^(١) .

وهذا كان واضحا في كتابه التحرير والتنوير حيث كان - رحمه الله - في كل قضية أو مسألة يلم بآراء العلماء فيها ثم يرجح بينهم ، كما كان يستشهد بالشعر كثيرا معتمدا على كثرة حفظه للأشعار واسعاف ذاكرته ، وسوف نرى في البحث التالي من خلال النماذج إلى مدى كان الشيخ مغرما بالشعر الذي نراه يستشهد به كلما وجد سياقاً مناسباً له .

وغير ذلك من العوامل التي ساعدته ليكون رائداً في هذا الفن .

وقد كان لهذا الأمر أثر كبير على كتابه التحرير والتنوير والتي من أهمها :

١- موسوعية التحرير والتنوير:

وقد ظهر أثر تلك الملكة على تفسيره حيث وجدناه مليئا بكنوز من العلم والمعارف والثقافة في شتى فروع العلم ، يقول الأستاذ محمد الطاهر الميساوي في مقدمة كتاب مقاصد الشريعة لابن عاشور: "ومن ثمَّ فلا غرابة أن جاءت هذه السيرة وارفة الأفنان، متنوعة العطاء، دانية القطوف، وكأنما

(١) شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور ، د/ بلقاسم الغالي ، دار ابن حزم ، ص ٦٤ .

أنت في حضرة مجمع من العلماء ضُمَّ في صعيد واحد: اللغوي، والأديب، والمفسر، والمحدث، والأصولي، والفقيه، والمربي، والمؤرخ، والفيلسوف، والمنطقي، بل وحتى العالم بأمور الطب، ويكفي لمعرفة مكانة ابن عاشور في التفسير الإحالة على موسوعته تفسير التحرير والتنوير^(١).

وهذه الملكة أكسبت التحرير والتنوير صفة الموسوعية، حيث أمدت صاحبها بكل ما يتعلق بالآية من كافة الجوانب، لغويا وأديبا وبلاغيا ونحويا وفقهيا ومنطقيا وقد أقر الشيخ بهذا في مقدمة تفسيره حيث قال: "ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جملة كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله"^(٢).

٢- تفوق كتابه في إبراز مبتكرات القرآن .

اهتم الشيخ في تفسيره ببيان نكت القرآن أو مبتكراته التي تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب وعدها وجها من وجوه الإعجاز القرآني، وقد ساعده في ذلك ملكاته الأدبية والنقدية وكثرة حفظه وسعة اطلاعه التي جعلته في كثير من المواضع يقول بثقة وتمكن: امتاز به نظم القرآن الكريم، تميز به

(١) التقريب لتفسير التحرير والتنوير ، محمد بن إبراهيم الحمد ، ص ١٥ .

(٢) التحرير والتنوير ، ٨/١ .

نظم القرآن عن بقية كلام العرب ، لم أقف على استعمال ذلك في كلام العرب ، وغير ذلك ، وهذا الأمر - حقيقة - ميز تفسيره عن كثير من التفاسير ، يقول ابن عاشور : "فإني بذلت الجهد في الكشف عن نكت من معاني القرآن وإعجازه خلت عنها التفاسير"^(١) .

لقد أبرز الشيخ الطاهر بن عاشور هذا الجانب وجها من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو ما امتاز به نظم القرآن الكريم عن بقية كلام العرب وكثيرا ما عبر عن هذا التميز بقوله "وهذا من مبتكرات القرآن " يقول في مقدمة التفسير: " هذا وللقرآن مبتكرات تميز بها نظمه عن بقية كلام العرب . فمنها أنه جاء على أسلوب يخالف الشعر لا محالة وقد نبه عليه العلماء المتقدمون ، وأنا أضم إلى ذلك أن أسلوبه يخالف الخطابة بعض المخالفة ، بل جاء بطريقة كتاب يقصد حفظه وتلاوته ، وذلك من وجوه إعجازه إذ كان نظمه على طريقة مبتكرة ليس فيها اتباع لطرائقها القديمة في الكلام"^(٢) .

ولا شك أن هذا المنحى كثير في كتب التفاسير ؛ إلا أنه لم يفرد أحدهم بابا في الحديث عنه ، والمراد بهذا النوع : ما استعمله القرآن من الألفاظ والأساليب والتراكيب مما لم يرد في كلام العرب قبله ، وقد عرفه ابن عاشور بقوله : "ما تميز به نظم القرآن عن بقية كلام العرب"^(٣) .

(١) التحرير والتنوير ، ٨/١ .

(٢) التحرير والتنوير ، ١٢٠/١ .

(٣) التحرير والتنوير ، ١٢٠/١ .

وقد توسع الشيخ ابن عاشور في هذا الباب وكانت له آراء سديدة ،
وإسهامات رائدة مبتكرة فيه ، ساعده على ذلك تمرسه وخبرته بتراث العربية ،
والتحريير ملئ بالأمثلة الشاهدة على ذلك .

منها على سبيل المثال ما جاء في تفسير (الجاهلية) في قول الله تعالى:
وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا بِاللَّهِ عِوَاظٍ يُبَدِّلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا بِاللَّهِ عِوَاظٍ يُبَدِّلُونَ
أَنفُسَهُمْ يَبْتَغُونَ بِاللَّهِ عِوَاظَ ظَنِّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ
لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قَاتَلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي
بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا
فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٦٤﴾^(١) يقول:

" وأحسب أن لفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن، وصف به أهل الشرك تنفيرا
من الجهل، وترغيبا في العلم، ولذلك يذكره القرآن في مقامات الذم في نحو
قوله: وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا بِاللَّهِ عِوَاظٍ يُبَدِّلُونَ ﴿١٦٤﴾ وقال ابن عباس: سمعت أبي في
الجاهلية يقول: اسقنا كأسا دهاقا ولم يسمع ذلك كله إلا بعد نزول
القرآن وفي كلام المسلمين"^(٢) .

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٤ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٥٠ .

(٣) التحريير والتنوير ، ١٣٦/٤ ، بتصريف .

وفي تفسير (ذات بينكم) في قول الله تعالى: وَمَنْ يَسْتَأْذِنَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٦٤) (١)
يقول: "واعلم أي لم أقف على استعمال (ذات بين) في كلام العرب فأحسب أنها من مبتكرات القرآن" (٢) .

لقد استطاع الشيخ الطاهر بن عاشور كشف وجه الإعجاز في هذين المثالين وأنهما من استعمالات القرآن البديعة ، وهذا إن دل فإنما يدل على كثرة اطلاعه ، ومدارسته لأمهات الكتب ، فاستطاع بذوقه وبخبرته أن يصل إلي هذا الحكم، وغيرها من الأمثلة التي يزخر بها الكتاب.

وخلاصة ما سبق يتبين أن ابن عاشور قد توفرت لديه ملكة شعرية وأدبية مكنته من حشد كم هائل من أشعار العرب في كتابه ؛ حيث جعل من الشواهد العربية المنظومة مرجعا رئيسيا بعد القرآن والسنة لاستدلالاته على ما يؤيد به مذهبه من آراء ومعتقدات ، أو تفسيرات لبعض المعاني الواردة فيه ، وهو حديثي في المبحث التالي إن شاء الله .

(١) سورة الأنفال، الآية ١

(٢) التحرير والتنوير ، ٢٥٤/٩ .

المبحث الثالث : استعانة ابن عاشور بالشعر لفهم النص القرآني في كتابه التحرير والتنوير والنماذج عليها .

ثمن ابن عاشور دور الشعر في تفسير القرآن الكريم ، حتى عد ذلك ظاهرة واضحة في تفسيره ، ومنهجاً عاماً فيه ، وقد جعل - رحمه الله - المعرفة بالشعر من قبيل المعارف ، أو بالأحرى العلوم التي يتوقف الخوض في التفسير على العلم بها وقد سماها في مقدمته الثانية باستمداد علم التفسير" (١) .

(١) التحرير ١/١٨ .

لذا نراه يستشهد بالشعر كلما وجد سياقاً مناسباً له ، يقول في مقدمة تفسيره: "إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقاً لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم لمن ليس بعربي بالسليقة"^(١) وقد عد الشيخ تلك القواعد وذكر منها أساليب العرب في أشعارهم"^(٢) .

ولقد وظف ابن عاشور - رحمه الله - الشعر لفهم النص القرآني تمثل ذلك فيما يلي :

المطلب الأول : استعانته بالشعر في بيان المعنى القرآني :

لقد كان - رحمه الله - يستعين بالشعر لبيان المعنى القرآني وتوضيحه والأمثلة على ذلك كثيرة في التحرير والتنوير منها :

ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى : **وَمِنْ بِمَا يَفْعُ النَّاسَ** ^(١٦٤) ^(٣) حيث فسر الدين بالجزاء ووضح أن ايثار لفظ الدين (الجزاء) غاية في التمدح وهو أن الله يجازي كل بما عمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ولا يظلم ربك أحداً ، يقول الإمام الرازي موضحاً هذا المعنى أيضاً: "وصف- الله عز وجل - نفسه بكونه ملكاً ليوم الدين أظهر للعالمين كمال عدله فقال: **وَمِنْ وَمَارِيكَ**

(١) التحرير والتنوير ١/١٨٠ .

(٢) التحرير ، ١/١٨٠ .

(٣) سورة الفاتحة الآية ٤ .

يُظَلِّمِ لِلْعَيْدِ ﴿١٦٤﴾^(١) ثم بين كيفية العدل فقال: وَمِنْ وَضَعِ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ
الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴿١٦٤﴾^(٢) فظهر بهذا أن كونه ملكا حقا ليوم الدين إنما
يظهر بسبب العدل، فإن كان الملك المجازي عادلا كان ملكا حقا وإلا كان
ملكاً باطلاً فإن كان ملكاً عادلاً حقا حصل من بركة عدله الخير والراحة في
العالم وإن كان ملكاً ظالماً ارتفع الخير من العالم^(٣).

وقد بين ابن عاشور أن مثل هذا النوع من المدح قد عرف كثيرا عند العرب
فيقول ما نصه: "إيثار لفظ الدين (أي الجزاء) للإشعار بأنه معاملة العامل
بما يعادل أعماله المجزي عليها في الخير والشر، وذلك العدل الخاص قال
تعالى: وَمِنْ أَلْيَوْمِ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا يُظْلَمُ الْيَوْمَ ﴿١٦٤﴾^(٤)؛ فلذلك لم
يقبل ملك يوم الحساب فوصفه بأنه ملك يوم العدل الصرف وصف له بأشرف
معنى الملك فإن الملوك تتخذ محامدهم بمقدار تفاضلهم في إقامة العدل وقد

(١) فصلت من الآية : ٤٦

(٢) الأنبياء من الآية ٤٧ .

(٣) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين
التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، دار إحياء التراث العربي -
بيروت ، الثالثة - ١٤٢٠ هـ ، ٢٠٦/١ .

(٤) غافر من الآية : ١٧ .

عرف العرب المدحة بذلك. قال النابغة^(١) يمدح الملك عمرو بن الحارث
الغساني ملك الشام:

وكم جزانا بأيد غير ظالمة ... عرفا بعرف وإنكارا بإنكار^(٢)

وقال الحارث بن حلزة^(٣) يمدح الملك عمرو بن هند اللخمي^(٤) ملك الحيرة:

ملك مقسط وأفضل من يم ... شي ومن دون ما لديه القضاء^(٥) .

(١) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المصري، أبو أمامة شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى من أهل الحجاز، وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو. وعاش عمرا طويلا. ومما كتب في سيرته "النابغة الذبياني لجميل سلطان" وغيرها، انظر "الأعلام للزركلي"، ٣/٥٤-٥٥.

(٢) انظر للبيت في ديوان النابغة، اعتني به حمدو طماس، دار المعرفة بيروت - لبنان، ٢٠٠٥ م، ص ٦٩.

(٣) الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي: شاعر جاهلي، من أهل بادية العراق، وهو أحد أصحاب المعلقات. كان أبرص فخورا، ارتجل معلقته بين يدي عمرو بن هند الملك، بالحيرة، انظر "الأعلام للزركلي"، ٢/١٥٤.

(٤) عمرو بن المنذر اللخمي: ملك الحيرة في الجاهلية، يلقب بالمرق الثاني، لإحراقه بعض بني تميم في جناية واحد منهم اسمه اشتهر في وقائع كثيرة مع الروم والغسانيين وأهل اليمامة، كان شديد البأس، كثير الفتك، هابته العرب == وأطاعته القبائل، وفي أيامه ولد النبي صلى الله عليه وسلم. واستمر ملكه خمسة عشر عاما، انظر "الأعلام للزركلي"، ٥/٨٦، باختصار.

(٥) انظر ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، صنعه / مروان العطية، الطبعة الأولى ١٤١٥ - ١٩٩٤، دار الإمام النووي، والبيت فيه الثناء بدلا من القضاء.

أيضا : عندما وضح علة العدول عن ضمير الواحد إلى ضمير المتكلم في قوله " نعبد " ونستعين " من قوله تعالى " إياك نعبد وإياك نستعين " وهي أن فيه دلالة على أن المحامد صادرة من جماعات مما قد يزيد من إغاظة المشركين وأن المسلمين صاروا في عزة ومنعة وفيه أيضا دلالة على أن المحمود المعبود المستعان قد شهدت له الجماعات هذا أبلغ في الثناء مستشهدا على ذلك بما جاء في لغة العرب يقول ما نصه : " وفي العدول عن ضمير الواحد إلى الإتيان بضمير المتكلم المشارك للدلالة على أن هذه المحامد صادرة من جماعات، ففيه إغاظة للمشركين إذ يعلمون أن المسلمين صاروا في عزة ومنعة، ولأنه أبلغ في الثناء من أعبد وأستعين لئلا تخلو المناجاة عن ثناء أيضا بأن المحمود المعبود المستعان قد شهد له الجماعات وعرفوا فضله، وقريب من هذا قول النابغة في رثاء النعمان بن الحارث الغساني (٢) :

قعودا له غسان (٣) يرجون أوبه (١) ... وترك ورهط الأعجمين وكابل (٢) (٣).

(١) التحرير والتنوير ١٧٧/١ .

(٢) النعمان بن الحارث بن جبلة بن الحارث الغساني: من ملوك الغسانيين في أطراف الشام ، كان ممدوحا في الجاهلية. كنيته " أبو كرب " وهو الذي خاطبه النابغة الذبياني ، توفي سنة ٤٣ قبل الهجرة ، انظر " الأعلام للزركلي ، ٣٧/٨ .

(٣) وأصل الغسن خصل الشعر من المرأة والفرس: وهو اسم ماء نزل عليه بنو مازن ابن الأزد بن الغوث وهم الأنصار وبنو جفنة وخزاعة فسموا به، وقيل: غسان ماء بسد مأرب باليمن كان شربا لبني مازن بن الأزد ابن الغوث، وقيل: غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة، وقيل: غسان ماء باليمن بين رمع وزبيد وإليه تنسب القبائل

إذ قصد من تعداد أصناف من الأمم الكناية عن عظمة النعمان وكثرة رعيته. فكان الحامد لما انتقل من الحمد إلى المناجاة لم يغادر فرصة يقتنص منها الثناء إلا انتهبها" (٤) .

وما جاء في تفسيره لقوله تعالى : وَمِنْ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ﴿١٦٤﴾ (٥) حيث بين أن المجيء أسند للقوم كلهم والمراد بعضهم ومثل هذا وارد في لغة العرب حيث يقول - رحمه الله في تفسير الآية - : " أي جاءه بعض قومه. وإنما أسند المجيء إلى القوم لأن مثل ذلك المجيء دأبهم وقد تمالؤوا على مثله،

المشهوره. (انظر: معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، ٢٠٣/٤ بتصرف يسير .

(١) رجع والمآب : المرجع : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، ٨٩/١

(٢) بضمّ الباء: مدينة معروفة في بلاد التّرك (انظر معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ، عالم الكتب، بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ ، ١١٠٨/٤

(٣) انظر للبيت في ديوان النابغة الزبياني ص ٩١، ومعناه (أن العرب والعجم كانوا يؤملون النعمان بن الحارث ويرجون خيره .) انظر هامش (مفردات القرآن - نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية ، عبد الحميد الفراهي == = الهندي ، تحقيق: د/ محمد أجمل أيوب الإصلاحي ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م ، ص ٢٧٤ .

(٤) التحرير والتنوير ١٨٦/١ .

(٥) سورة هود من الآية ٧٨.

فإذا جاء بعضهم فسيعقبه مجيء بعض آخر في وقت آخر. وهذا من إسناد الفعل إلى القبيلة إذا فعله بعضها، كقول الحارث بن وعلة الجرمي^(١) :
قومي هم قتلوا أميم أخي ... فإذا رميت يصيني سهمي^(٢) ^(٣).

فتراه -رحمه الله - وضح أن الذي جاء لسيدنا هود بعض القوم وليس كلهم لكن اسند المجيء إليهم جميعا لأنهم راضون بذلك مستشهدا على هذا البيان بهذا الشاهد الشعري .

أيضا : في بيانه لمعنى الوسوسة في قوله تعالى : وَمِمَّن قَوَّسُونَ مِمَّا الشَّيْطَانُ يُبْدِي مِمَّا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا^(٤) يقول : " والوسوسة الكلام الخفي الذي لا يسمعه إلا المداني للمتكلم ، قال رؤية^(٥) يصف صائدا^(١) :

(١) الحارث بن وعلة بن عبد الله بن الحارث الجرمي ، شاعر جاهلي، كأبيه، من فرسان قضاة، شهد يوم الكلاب الثاني (بين جبلة وشماح) وكاد يقتله قيس بن عاصم المنقري، ولكنه نجا ، انظر " عجم الشعراء العرب ، تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية ، ص ٥٩٨

(٢) معناه : قومي، يا أميم، هم الذين فجعوني بأخي ووتروني فيه، فإذا رمت الانتصار منهم عاد ذلك بالنكاية في نفسي، لأن عز الرجل بعشيرته، وهذا الكلام تحزن وتنفج وليس بإخبار " انظر للبيت وشرحه في " شرح ديوان الحماسة ، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني ، ص ١٤٩ .

(٣) التحرير والتنوير ١٢/١٢٦ .

(٤) سورة الأعراف من الآية ٢٠

(٥) أبو محمد رؤية بن العجاج - والعجاج لقب واسمه: أبو الشعثاء عبد الله - ابن رؤية البصري التميمي السعدي؛ وهو وأبوه راجزان مشهوران، كل منهما له ديوان رجز ليس فيه

وسوس يدعو جاهدا رب الفلق ... سرا وقد أون تأوين (٢) العقق (٣) (٤) (٥).

وإلى هذا المعنى أيضا أشار الإمام الماوردي (٦) في " النكت والعيون " مستشهدا بنفس هذا البيت (١) وهذا إن دل فإنما يدل على أن الاهتمام بالشعر

شعر سوى الأراجيز، وهما مجيدان في رجزهما، وكان بصيراً باللغة بحوشيتها وغريبها ، انظر " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لـ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم

بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي ، ٣٠٤/٢ ، والأعلام للزركلي ، ٣٤/٣

(١) شرح ديوان رؤية بن العجاج ، تحقيق الدكتور ضاحي عبد الباقي محمد ، مراجعة الدكتور

محمود علي مكي ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢ هـ ، ص ٥٨-٥٩

(٢) وَرَدَتِ الْمَاءُ فَشَرِبْتُ حَتَّى امْتَلَأْتُ خَوَاصِرُهَا (انظر تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهرى

الهروي ، ٣٩١/١٥ .

(٣) العُقُقُ: التي استبان حملها، ونبتت العقيقة على ولدها في بطنها . (انظر العين ، أبو عبد

الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ، ٤٠٣/٨ .

(٤) ومعنى البيت " امتلأ من الري حتى صار بطنه كالأونين كامتلاء بطون الحوامل ، انظر ،

شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، لـ نشوان بن سعيد الحميري اليمني ، المحقق: د

حسين بن عبد الله العمري وآخرون ، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر

(دمشق - سورية) ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، ٤٢٨٤/٧ .

(٥) التحرير والتنوير ٥٦/٨ .

(٦) علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي ، حافظا

للمذهب، عظيم القدر، مقدماً عند السلطان، له المصنفات الكثيرة في كل فن، الفقه،

والتفسير، والأصول، والأدب ، ومن تصانيفه الحاوي في الفقه، تفسير القرآن سماه

النكت، الأحكام السلطانية، أدب الدنيا والدين ، وغير ذلك . مات في ربيع الاول سنة

خمسین وأربعمائة عن ست وثمانين ، انظر "طبقات المفسرين العشرين ، عبد الرحمن

وتوظيفه لفهم المعنى القرآني لم يكن دأب ابن عاشور فحسب بل هذا ما كان عليه جمع كبير من المفسرين .

و تراه في تفسير القيام في قوله تعالى : وَمَنْ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ (١٦٤) (٢) يقول : " ومعنى إذا قمتم إلى الصلاة إذا عزمتم على الصلاة، لأن القيام يطلق في كلام العرب بمعنى الشروع في الفعل، قال الشاعر: فقام يزود الناس عنها بسيفه ... وقال ألا لا من سبيل إلى هند (٣) .

وعلى العزم على الفعل، قال النابغة :

بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: علي محمد عمر ، مكتبة وهبة - القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦ ، ص ٨٣ - ٨٤ ، باختصار .

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ، ٢٠٩/٢ . وانظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، ١١٠/٤ .

(٢) سورة المائدة من الآية ٦ .

(٣) وهو بلا نسبة (انظرا لمعجم المفصل في شواهد العربية ، د. إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ٤٤٥/٢ .

قاموا فقالوا حمانا غير مقروب^(١) أي عزموا رأيهم فقالوا^(٢)

ومنها : ما جاء عند تفسيره لمعنى بهت في قوله تعالى : وَمِنْ قَبْهَتِ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ^(٣) فتراه يقول : " (بهت) فعل مبني للمجهول يقال
بهته فبهت بمعنى أعجزه عن الجواب فعجز أو فاجأه بما لم يعرف دفعه قال
عروة العذري^(٤) :

فما هو إلا أن أراها فجاءة ... فأبهت حتى ما أكاد أجب^(٥) .

المطلب الثاني: استعانته بالشعر لترجيح رأيه

لقد كان الإمام - ابن عاشور - يستشهد بما جاء من شعر العرب على تأييد
ما ذهب إليه من رأي والأمثلة كثيرة في التحرير والتنوير :

(١) ديوان النابغة ص ٤٩ ، والبيت كما هو في الديوان " بنت حصناً وحيا من بني أسد
قاموا فقالوا: حمانا غير مقروب" .

(٢) التحرير والتنوير ، ١٢٨/٦ .

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٥٨ .

(٤) ديوان عروة بن حزام ، دراسة وتحقيق أحمد عكيدى ، وزارة الثقافة - دمشق ،
٢٠١٤م ، ص ٨٠ .

(٥) التحرير والتنوير ، ٣/٣٤ .

منها : اختلف المفسرون في المراد بالأرض في قوله تعالى : **وَمِنَ أَرْضِكُمْ**
أَرْضَهُمْ وَيَدِيرُهَا وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَّوُّهَا (١) "فقال بعضهم : الروم وفارس، وما
فتح الله عليهم.

وقال آخرون: هي مكة ، وقال آخرون: بل هي خيبر، وقيل هي أرض بني
قريظة (٢).

على أن ابن عاشور رجح ؛ أن المراد بالأرض هي أرض بني النضير وعلته
أن معنى لم تطئوها أي لم تأخذوها عنوة فالوطة بمعنى الأخذ الشديد
مستشهدا بهذا المعنى على ما جاء في الشعر العربي فيقول ما نصه :
وعندي: أن المراد بالأرض التي لم يطئوها أرض بني النضير وأن معنى لم
تطئوها لم تفتحوها عنوة، فإن الوطة يطلق على معنى الأخذ الشديد، قال
الحارث بن ولة الذهلي:

ووطننا وطئا على حنق ... وطء المقيد نابت الهرم (٣).

(١) سورة الأحزاب من الآية ٢٧

(٢) انظر للأقوال في جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن
غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، ٢٥٠/٢٠ .

(٣) ومعنى البيت : أثرت فينا تأثير الحنق الغضبان، كما يؤثر البعير المقيد إذا وطئ
هذه الشجيرة ، (انظر شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن

ومنه قوله تعالى: وَمِنَ الَّذِينَ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ قَالُوا إِنَّا نَسَىٰ آيَاتِهِ أَنْ يَقُولَ سُورَةُ الْآحْقَابِ ﴿١٦٤﴾، فإن أرض بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله من غير إيجاف^(١).

أيضا : اختلف المفسرون في معنى المرابطة في قوله تعالى: وَمِنَ الَّذِينَ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ قَالُوا إِنَّا نَسَىٰ آيَاتِهِ أَنْ يَقُولَ سُورَةُ الْآحْقَابِ ﴿١٦٤﴾^(٢) فقيل: رابطوا أعدائكم بالخيال، أي ارتبطوها كما يرتبطها أعداءكم وقيل : انتظار الصلاة بعد الصلاة^(٣).

وقد عقب الامام ابن عاشور على هذه الاقوال فقال ما نصه : " خفي معنى الرباط على بعض المفسرين فقال بعضهم: أراد بقوله: ورابطوا إعداد الخيل مربوطة للجهاد، قال: ولم يكن في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم - غزو في الثغور. وقال بعضهم: أراد بقوله: ورابطوا انتظار الصلاة بعد الفراغ من التي قبلها"^(٤).

المرزوقي الأصفهاني ، ص ١٥١ ، والبيت ينظر إليه أيضا في (المستقصى في أمثال العرب ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧م ، ١/١٣٦.

(١) التحرير والتنوير ، ٣١٣/٢١ ، والآية من سورة الفتح رقم ٤٨ .

(٢) سورة آل عمران من الآية ٢٠٠ .

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ، ٤/٣٢٣ .

(٤) التحرير والتنوير ٤/٢٠٩ .

والقول " أن المرابطة كانت معروفة في الجاهلية وهي ربط الفرس للحراسة في الثغور أي الجهات التي يستطيع العدو الوصول منها إلى الحي مثل الشعاب بين الجبال. وما رأيت من وصف ذلك مثل لبيد^(١) في معلقته إذ قال: ولقد حميت الحي^(٢) تحمل شكتي^(٣) ... فرط^(٤) وشاحي إذ غدوت لجامها^(٥) فعلوت مرتقبا على ذي هبوة^(٦)... حرج إلى إعلامهن قتامها^(٧)

(١) لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية ، من أهل عالية نجد ، أدرك الإسلام، سكن الكوفة، وعاش عمرا طويلا. وهو أحد أصحاب المعلقات. أنظر (الأعلام للزركلي ، ٥ / ٢٤٠) .

(٢) منعتهم (انظر هامش ديوان لبيد ص ١١٤)

(٣) سلاحي (هامش الديوان ص ١١٤)

(٤) الفرس السريعة المتقدمة (هامش الديوان ص ١١٤)

(٥) والمعنى العام للبيت : ولقد حميت قبيلتي في حال حمل فرس متقدمة سريعة سلاحي ووشاحي لجامها إذا غدوت، يريد أنه يلقي لجام الفرس على عاتقه ويخرج منه يده حتى يصير بمنزلة الوشاح، يريد أنه يتوشح بلجامها لفرط الحاجة إليه حتى إذا ارتفع صراخ أجم الفرس وركبها سريعا، وتحرير المعنى: ولقد حميت قبيلتي وأنا على فرس أتوشح بلجامها إذا نزلت لأكون متهيئا لركوبها ، "انظر شرح المعلقات السبع لـ حسين بن أحمد بن حسين الزُّوزني، أبو عبد الله ، دار احياء التراث العربي ، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ص ١٩٥ .

(٦) الغبار (هامش ديوان لبيد ص ١١٤)

(٧) والمعنى العام للبيت "أي فعلوت عند حماية الحي مكانا عاليا، أي كنت ربيبة لهم على ذي هبوة، أي على جبل ذي هبوة، وقد قرب قتام الهبوة إلى أعلام فرق ==

حتى إذا أَلقت يدا في كافر^(١)... وأجن عورات الثغور^(٢) ظلامها^(٣) ^(٤).
فذكر أنه حرس الحي على مكان مرتقب، أي عال بربط فرسه في الثغر. وكان المسلمون يربطون في ثغور بلاد فارس والشام والأندلس في البر، ثم لما اتسع سلطان الإسلام وامتلكوا البحار صار الرباط في ثغور البخار وهي الشطوط التي يخشى نزول العدو، فأمر الله بالرباط كما أمر بالجهاد بهذا المعنى، وهذا ما خفي على بعض المفسرين^(٥).

وفي تفسير الخرطوم في قوله تعالى: وَمِنْ سَنِمَةٍ عَلَىٰ الْحُرِّطُومِ^(٦) يقول: "والخرطوم: أريد به الأنف. والظاهر أن حقيقة الخرطوم الأنف المستطيل

==الأعداء وقبائلهم، أي رأيت لهم على جبل قريب من جبال الأعداء ومن راياتهم"
انظر شرح المعلقة السبع، ص ١٩٥.

(١) أي بدأت في المغرب (هامش ديوان لبيد ص ١١٤)

(٢) أي المواضع التي تأتي المخافة منها (هامش ديوان لبيد ص ١١٤)

(٣) المعنى العام للبيت: حتى إذا أَلقت الشمس يدها في الليل أي ابتدأت في الغروب،
وعبر عن هذا المعنى بإلقاء اليد؛ لأن من ابتدأ بالشيء قبل ألقى يده فيه" انظر
شرح المعلقة السبع، ص ١٩٥.

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة، لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من
الصحابة، اعتنى به حمدو طماس، دار المعرفة - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى
٢٠٠٤-١٤٢٥، ص ١١٤.

(٥) التحرير والتنوير، ٤/٢٠٨-٢٠٩. بتصرف يسير.

(٦) القلم الآية ١٦.

كأنف الفيل والخنزير ونحوهما من كل أنف مستطيل. وقد خلط أصحاب اللغة في ذكر معانيه خلطاً لم تتبين منه حقيقته من مجازه. وذكر الزمخشري في "الأساس" ^(١) معانيه المجازية ولم يذكر معناه الحقيقي، وانبهم كلامه في "الكشاف" ^(٢) إلا أن قوله فيه: وفي لفظ الخرطوم استخفاف وإهانة، يقتضي أن إطلاقه على أنف الإنسان مجاز مرسل، وجزم ابن عطية ^(٣): أن حقيقة الخرطوم مخطم السبع أي أنف مثل الأسد، فأطلاق الخرطوم على أنف الإنسان هنا استعارة كإطلاق المشفر وهو شفة البعير على شفة الإنسان في قول الفرزدق: ^(٤)

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتي ... ولكن زنجي غليظ المشافر ^(٥) ^(٦).

- (١) انظر أساس البلاغة ، لـ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ١/٢٤٠.
- (٢) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري ، ٤/٥٥٨.
- (٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ ، ٥/٣٤٨.
- (٤) ديوان الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة المتوفي ١١٠ ، د. سايمز، مكتبة الثقافة العربية - بغداد - العراق ، بدون تاريخ ، ص ٧٧.
- (٥) ومعنى البيت " ولكنك زنجي، كأنه لا يسمو فكره إلى معرفة شرفي " انظر علوم البلاغة ، لـ أحمد بن مصطفى المراغي ص ٢٥٥.
- (٦) التحرير والتنوير ، ٢٩ / ٧٧ .

فقد عارض ابن عاشور أصحاب اللغة وبعض المفسرين لعدم توضيحهم حقيقة الخرطوم ، ولخلطهم المجاز بالحقيقة ، والذي ترجع لديه أن هذا من قبيل الاستعارة كما جاء في الشعر .

المطلب الثالث: استعانته بالشعر لتوضيح عادات كانت معهودة عند العرب .

لقد كان الشيخ ابن عاشور مهتما بنقل معهود العرب وتوظيفه لفهم النص القرآني ويقصد بمعهود العرب "ما سار عليه العرب واعتادوه من قول أو فعل أو ترك أو اعتقاد ، استنادهم إلى عاداتهم ، وعرفهم ، وتقاليدهم ، وأفكارهم ، ومعتقداتهم" (١) .

يقول الإمام الذهبي - رحمه الله - : " فمعرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها ، تعين على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب . ومعرفة عادات العرب تعين على فهم كثير من الآيات التي لها صلة بعاداتهم" (٢)

وقد استعان - رحمه الله - بالشعر عند نقل تلك العادات ، والأمثلة كثيرة يزخر بها كتابه التحرير والتنوير منها على سبيل المثال :

(١) رسالة ماجستير بعنوان " منهج الطاهر ابن عاشور في توظيف معهود العرب في

تفسير " التحرير والتنوير " للباحث محمد الأمين غماري ص ٣٦ .

(٢) التفسير والمفسرون ، لـ محمد السيد حسين الذهبي ، ٤٥/١ .

قوله عند تفسير قوله تعالى : وَمِنْ فَسَّخَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ نَوَّابًا

(١) ١٦٤

'في تقديم الأمر بالتسبيح والحمد على الأمر بالاستغفار تمهيدا لإجابة استغفاره على عادة العرب في تقديم الثناء قبل سؤال الحاجة كما قال ابن أبي الصلت (٢) :

إذا أتى عليك المرء يوما ... كفاه عن تعرضه الثناء (٣).

وعند بيانه لمعنى كلمة الرجم في قوله تعالى: وَمِنْ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٤) بين أن الرجم بمعنى المحقر لأن كان من عادة العرب أنهم كانوا إذا احتقروا أحد رموه بالحصباء ، والرجم من العادات القديمة التي كان يفعلها العرب ، مستشهدا بهذا على ما جاء في الشعر فيقول ما نصه : " رجم: المحقر لأن العرب كانوا إذا احتقروا أحدا حصبوه بالحصباء، والرجام - بضم الراء - الحجارة. قيل وهي أصل الاشتقاق. ويحتمل العكس. وقد كان العرب

(١) سورة النصر: الآية ٣.

(٢) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام. وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس

المسوح تعبدا توفي ٥٥ هـ - ٦٢٦ م (الأعلام للزركلي ، ٢٣/٢)

(٣) انظر للبيت في شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني ، ص ١٢٥١.

(٤) سورة الحجر: الآية ١٧.

يرجمون قبر أبي رغال الثقفي الذي كان دليل جيش الحبشة إلى مكة. قال جرير (١) :

إذا مات الفرزدق فارجموه ... كما ترمون قبر أبي رغال (٢)

والرجم عادة قديمة حكاها القرآن عن قوم نوح وَمِنْ قَالُوا لَنْ نَمُوتَ نَتَنَحُّ لَتَكُونَنَّ
مِنَ الْمَرْجُومِينَ (٣) ١٦٤. وعن أبي إبراهيم - عليه السلام - وَمِنْ لَنْ نَمُوتَ نَتَنَحُّ
لَأَرْجَمَنَّكَ (١) ١٦٤ ، وقال قوم شعيب : وَمِنْ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْتُكَ (٢) (٣) .

(١) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي، من تميم ، أشعر أهل عصره. ولد ومات في اليمامة. وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم وكان هجاءً مرًا==
== فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل ، وكان عفيفاً، وهو من أغزل الناس شعراً ، وكان يكنى ب أبي حَزْرَة ، توفي ١١٠ هـ . (الأعلام للزركلي ، ١١٩/٢ - ١٢٠) .
(٢) أبو رغال : قيل كان ان رجلاً عشَّاراً في الزَّمنِ الأوَّلِ جَانِراً فُقْبِرَهُ يُرْجَمُ إِلَى اليَوْمِ ، وَقُبْرُهُ بَيْنَ
مَكَّةَ وَالطَّائِفِ ، وَكَانَ عَبْدًا لَشُعَيْبِ ، عَلَى نَبِيْنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَقِيلَ : كَانَ أَبُو رِغَالٍ
دَلِيلًا لِلْحَبَشَةِ حِينَ تَوَجَّهُوا إِلَى مَكَّةَ فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ . (انظر لسان العرب ، محمد بن
مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، دار
صادر - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ ، ١١ / ٢٩١ ، مادة رغل . و(الإبانة في
اللغة العربية ، سلمة بن مسلم العوتبي الصُّحاري ، تحقيق: د. عبد الكريم خليفة وآخرون ،
وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان ، الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ -
١٩٩٩ م ، ٣ / ١٦١ ، والبيت في ديوان جرير ص ٥٤٧ ، وفي بيان المعاني ، لـ عبد
القادر بن ملاً حويش السيد محمود آل غازي العاني ، مطبعة الترقى - دمشق ، الطبعة:
الأولى ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٥ م ١ / ١٧٨ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١١٦ .

وفي قوله تعالى : وَمِنْ طَلْعِهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿١٦٤﴾^(٤) ، حيث كان من عادات العرب القولية أنها إذا أرادت أن تعبر عن سوء المنظر تشببهه بالشيء السيء القبيح ، وأقبح شيء تستعمله في التشبيه هو الشيطان ، تراه يقول : "وطلع شجرة الزقوم غير معروف فوصف للناس فظيحا بشعا، وشبهت بشاعته ببشاعة رؤوس الشياطين، وهذا التشبيه من تشبيه المعقول بالمعقول... ونظيره قول امرئ القيس^(٥) :

أَيْقُتُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ^(٦) زَرَقَ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ^(٧) (١) (٢) .

(١) سورة مريم من الآية ٤٦ .

(٢) سورة هود من الآية ٩١ .

(٣) التحرير والتنوير ، ٣٠/١٤ .

(٤) سورة الصافات الآية ٦٥ .

(٥) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من أشهر شعراء العرب على الإطلاق ، يمانى الأصل ، مولده بنجد، اشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي. " ينظر ترجمته في الأعلام لـ الزركلي ، ١١/٢ - ١٢ .

(٦) المسنونة: السهام المحدودة النصال، ووصفها بالزرقة لخضرتها وصفاتها. (هامش الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل - بيروت ، ٧٢/٣ .

(٧) والمعنى العام للبيت : أيقنتني ذلك الرجل الذي يوعدني، والحال أن مضاجعي سيف " انظر دُرُّ الْفَرَايِدِ الْمُسْتَحْسَنَةِ فِي شَرْحِ مَنْظُومَةِ ابْنِ الشَّخْنَةِ ، لـ ابن عَبْدِ الْحَقِّ الْعُمَرِيِّ الطَّرْبُلُوسِيِّ ، تحقيق ودراسة: الدكتور سُلَيْمَانُ حُسَيْنُ الْعُمَيْرَاتِ ، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م ص٣٢٣ .

فقد بين المعنى بما هو معهود عند العرب بالشاهد الشعري .
أيضا : عند تفسيره لمعنى الكثرة في قوله تعالى : وَمِنْ قُلٍّ لَا يَسْتَوِي الْحَبِيثُ
وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْحَبِيثِ^(٣)

بأنها كثرة العدد لما هو متعارف عند العرب من التفاخر بكثرة العدد .
يقول ما نصه : " يحتمل أن تكون تلك الكثرة كثرة عدد في الناس إذ معلوم
في متعارف العرب في الجاهلية وفي أول الإسلام الاعتزاز بالكثرة والإعجاب
بها . قال الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى ... وإنما العزة للكافر^(٤)

وقال السموأل أو عبد الملك الحارثي :

تعيرنا أنا قليل عدينا فقلت لها إن الكرام قليلا^(٥)

وقد تعجب العنبري إذ لام قومه فقال :

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا^(١) (٢) .

(١) انظر ديوان امرئ القيس ، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، من بني آكل المرار ،
اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ -
٢٠٠٤ م ، ص ١٢ .

(٢) التحرير والتنوير ، ١٢٤/٢٣ .

(٣) سورة المائدة من الآية ١٠٠ .

(٤) انظر ديوان الأعشى ، ص ١٤٣ .

(٥) انظر السموأل ، دار صادر بيروت ، ص ٩٣ .

ومثل ابن عاشور الإمام الزمخشري في الكشف حيث فسّر الكثرة بكثرة العدد كما هو معهود عند العرب مستشهداً على ذلك بالشواهد الشعرية (٣) .

وعند تفسيره لقوله تعالى : **وَمِن لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ** (١٦٤) (٤) .

حيث وضح عند تفسيره لهذه الآية أنه كان من عادات العرب تحريم البيع والشراء عند خروجهم من سوق ذي المجاز إلى مكة ، وأن القرآن نزل لإبطال تلك العادة يقول ما نصه بعد تفسير الآية " قد كان أهل الجاهلية إذا خرجوا من سوق ذي المجاز إلى مكة حرم عندهم البيع والشراء قال النابغة:

كادت تساقطني رحلي وميثرتي^(٥) ... بذي المجاز ولم تحسس به نغما .

من صوت حرمية^(٦) قالت وقد ظعنوا ... هل في مخفيكم من يشتري أدما .

(١) انظر شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ) ، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا ، دار القلم - بيروت ، ص ٥ .

(٢) التحرير والتنوير ٦٢/٧

(٣) انظر الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ٦٨٢/١-٦٨٣ .

(٤) البقرة من الآية ١٩٨ .

(٥) المثيرة : ما يوطأ به الرجل (هامش الديوان ص ١٠٣) .

(٦) الحَرْمِيّ: الرجل المنسوب إلى الحرم. والائثى حرمية. (انظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، ١٨٩٦/٥ .

قلت لها وهي تسعى تحت لبتها ... لا تحطمنك إن البيع قد زرما^(١)

أي انقطع البيع وحرم، وعن ابن عباس: كانت عكاظ ومجنة، وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت: "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم"^(٢).

وعند بيانه لعادات العرب في القصاص وانتهاك الحقوق تراه يقول في تفسيره لقوله تعالى: وَمَنْ يَتَّيَمُ الَّذِينَ آمَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ وَالْحَرْبِ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأْتِيَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٣). تلك أحكام متتابعة من إصلاح أحوال الأفراد وأحوال المجتمع، وابتدئ بأحكام القصاص، لأن أعظم شيء من اختلال الأحوال اختلال حفظ نفوس الأمة، وقد أفرط العرب في إضاعة هذا الأصل، يعلم ذلك من له إمام بتاريخهم وآدابهم وأحوالهم، فقد بلغ بهم تطرفهم في ذلك إلى وشك الفناء لو طال ذلك فلم يتداركهم الله فيه بنعمة الإسلام، فكانوا يغير بعضهم على بعض لغنيمة أنعامه وعبيده ونسائه فيدافع المغار عليه وتتلف نفوس بين الفريقين ثم ينشأ عن ذلك طلب الثارات فيسعى كل من قتل له قتيلا في قتل قاتل ووليّه وإن أعوزه ذلك قتل به غيره من واحد كفاء له، أو عدد يراهم لا يوازونه ويسمون

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ١٠٣.

(٢) التحرير والتنوير، ٢/٢٣٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

ذلك بالتكايل في الدم أي كأن دم الشريف يكال بدماء كثيرة فربما قدره باثنين أو بعشرة أو بمائة، وهكذا يدور الأمر ويتزايد تزييدا فاحشا حتى يصير تفانيا قال زهير:

تداركتما عسا وذبيان بعد ما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم^(١) (٢).

المطلب الرابع: استعانته بالشعر لإبراز جمال التعبير القرآني :

إن القرآن الكريم كلام الله جل شأنه الذي "لا يشغله شأن عن شأن ، فهو القادر على أن يخاطب العقل والقلب معا بلسان واحد ، وأن يمزج الحق والجمال فلا يبيغان ، ويخرج من بينهما شراب خالص سائغ للشاربين، تدبروا آيات القرآن فسترون أنها في معمعة البراهين والأحكام لا تنسى نصيب القلب من تشويق وترقيق ، وتحذير وتنفير، وتهويل وتعجيب ، وتبكيك وتأنيب ، تجد ذلك في مطالعها ومقاطعها بين كلماتها وحروفها"^(٣) .

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز واصفا جمال القرآن وأسراره الدفينة : "إذا أنت لم يلهك جمال العطاء عما تحته من الكنز الدفين ، ولم تحجبك بهجة

(١) ومعنى البيت " تلافيتما أمر هاتين القبيلتين بعدما أفنى القتال رجالهما ويعد دقهم عطر هذه المرأة أي بعد إتيان القتال على آخرهم كما أتى على آخر المتعطين بعطر منشم ، انظر: شرح المعلمات السبع ، ص ١٤٠ .

(٢) التحرير والتنوير ١٣٤/٢ - ١٣٥ .

(٣) النبأ العظيم ، د محمد عبد الله دراز ، تحقيق الشيخ / أحمد مصطفى فضلية ، دار القلم ، الطبعة العاشرة ١٤٢٩ ، ٢٠٠٨ ، ص ١١٦ .

الأسرار عما وراءها من السر المصون ، بل فليت القشرة عن لبها ، وكشفت الصدفه عن درها ، فنفذت من هذا النظام اللفظي إلى ذلك النظام المعنوي ، تجلى لك ما هو أبهى وأبهر ، ولقيك منه ما هو أروع وأروع^(١) .

من هذا المنطلق فإن دور الشعر لم يقف عند حد تفسير غريب القرآن فحسب، بل تعدى هذا إلى الكشف عن أسرار الأسلوب القرآني وإعجازه، وتفوقه على أعلى مراتب الشعر البليغ الذي كانت العرب تحتفل به أيما احتفال، وهي الخبيرة بمواقع النظم الرفيع.

لهذا يرى عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" أنه لما كان الشعر ديوان العرب كان محالاً أن يعرف القرآن معجزاً من جهة فصاحته إلا من عرف الشعر^(٢) .

ولقد اهتم الشيخ الطاهر بإبراز وجوه الإعجاز القرآني وجمال تعبيره من خلال الشواهد الشعرية عند تفسيره للآيات القرآنية من ذلك على سبيل المثال :

عند تفسيره لقوله تعالى وَمِنْ صُورِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَن يَشَاءُ يُجْعَلُهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦٤﴾^(١) يقول : "وقوله: صم وبكم في الظلمات تمثيل لحالهم

(١)النبي العظيم ، ص ١٤١ .

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار ، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر ، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ، ص ٨ بتصريف .

في ضلال عقاندهم والابتعاد عن الاهتداء بحال قوم صم ويكم في ظلام. فالصمم يمنعهم من تلقي هدى من يهديهم، والبكم يمنعهم من الاسترشاد ممن يمر بهم، والظلام يمنعهم من التبصر في الطريق أو المنفذ المخرج لهم من مأزقهم.

وإنما قيل في الظلمات ولم يوصفوا بأنهم عمي كما في قوله: وَمِنْ عَمِيَائِهِمْ كَمَا وَصَّمًا ﴿١٦٤﴾^(٢) ليكون لبعض أجزاء الهيئة المشبهة بها ما يصلح لشبه بعض أجزاء الهيئة المشبهة، فإن الكفر الذي هم فيه والذي أصارهم إلى استمرار الضلال يشبه الظلمات في الحيلولة بين الداخل فيه وبين الاهتداء إلى طريق النجاة، فهذا التمثيل جاء على أتم شروط التمثيل. وهو قبوله لتفكيك أجزاء الهيئتين إلى تشبيهات مفردة، كقول بشار:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهادى كواكبه^(٣) (٤).

(١) سورة الأنعام من الآية ٣٩.

(٢) الإسراء من الآية ٩٧.

(٣) ومعني البيت: أن الشاعر يشبه صورة العُجْبَار المثار بحركة القتال والذي تتهاوى داخله أسياف المقاتلين على أعدائهم بصورة لَيْلٍ تتهاوى على الأرض كواكبه. انظر علوم البلاغة «البدیع والبيان والمعاني» - الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م، ص ١٥٤.

(٤) التحرير والتنوير، ٢١٩/٧.

فقد وضح الشيخ ما في هذا التشبيه من جمال التعبير القرآني ثم نظر في أشعار العرب القدماء موضحاً موافقة القرآن الكريم للغة العرب وجريه على مقتضى كلامهم ، ومبينا علو كلام الله تعالى عن كلام البلغاء والفُصحاء ، وتساميه على أشعارهم وأقوالهم ، وهكذا أفاده محفوظه الشعري وإطلاعه على التراث القديم على بيان إعجاز القرآن في هذه الناحية ، وما احتجَّ به من أشعار الجاهليين وأقوالهم كان بُرهاناً على نزول كتاب الله الكريم على مقتضى لغتهم وأساليبهم ولكنّه في طبقة عالية أفضحت فصحاءهم وبلغاءهم وأعجزتهم وحرّضتهم على الإيمان، إلا من أبا واستكبر.

لقد كان رحمه يفسر القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية وأساليب استعمالاتها ومقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم ، ولكثرة اطلاعه على دواوين الشعر مكنته من أن يقف على جمال التعبير القرآني في كثير من الآيات فتأمل قوله تعالى : وَمَنْ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٦٤) (١) .

فإن قلت: هلا جمع العقوبات متواليّة: فقال ليقطع طرفا من الذين كفروا، أو يكبتهم فينقلبوا خائبين، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم، قلت: روعي قضاء حق جمع النظير أولاً، وجمع الضدين ثانياً، بجمع القطع والكبت، ثم جمع التوبة

(١) آل عمران الآية ١٢٧.

والعذاب، على نحو ما أجاب به أبو الطيب عن نقد من نقد قوله في سيف
الدولة :

تمر بك الأبطال كلمي حزينة ... ووجهك وضاح وثرعك باسم^(١) (٢).

إذ قدم من صفتيه تشبيهه بكونه في جفن الردى لمناسبة الموت، وأخر الحال
وهي ووجهك وضاح لمضادة قوله كلمي حزينة، في قصة مذكورة في كتب
الأدب" (٣) .

(١) والمعنى العام للبيت : تمر بك الأبطال جرحى منهزمين، وكلمي مستسلمين، وذلك لا
يثني عزمك، ولا يضعف نفسك، بل كنت حينئذ ضحاكاً غير متوقع، وبساماً غير متضجر،
قد وثقت من الله بعاجل نصره، وتيقنت ما وصله منك بجميل صنعه... انظر شرح شغفر
المتنبي ، لـ إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري، من بني سعد بن أبي وقاص، أبو القاسم
ابن الإقليلي، دراسة وتحقيق: الدكتور مصطفى عليان ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان
الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ٢/٢٥٣ .

(٢) ديوان المتنبي دار المعرفة بيروت تحقيق مصطفى السقا إبراهيم الابياري ، عبد
الحفيظ شلبي ٣/٣٨٦) وللبيت قصة مع سيف الدولة ذكرت في المثل السائر لـ ابن الأثير
، المكتبة العصرية بيروت ١٩٩٥ م ، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ٢/٢٨٦ ،
٢٨٧ .

(٣) التحرير والتنوير ، ٤/٨٣ .

هكذا كان للشعر دور فعال عند ابن عاشور في فهمه للنص القرآني والكتاب يذخر بالشواهد الشعرية وهذا ما اعتاد عليه في جميع مؤلفاته من الاستعانة بالشعر وهو ما وضحه د/ بلقاسم غالي حيث يقول: "تذخر كتب ابن عاشور بالشواهد الشعرية ، ففي الجزء الأول من تفسير التحرير والتنوير ما يربو على مائة وثلاثين بيتاً من الشعر ، وفي كتاب مقاصد الشعرية ما يقرب على عشرين من الأبيات الشعرية ، وفي كتاب موجز البلاغة أربع وثمانون شاهداً بلاغياً ، واشتمل كتاب النظر الفسيح في الحديث على أربعين بيتاً ، وفي أصول النظام الاجتماعي في الإسلام سبعون بيتاً ، وفي كتاب أليس الصبح بقريب نيف وخمسون بيتاً من الشعر وهو يرجح معني علي آخر بالشعر يظهر ذلك في مواطن كثيرة من كتبه"^(١) .

وختاماً فإن ابن عاشور من خلال استعانهه بالشعر قد أضاف صبغة أدبية ولونا جديداً للتفسير وحسبه ما قاله الإمام الغزالي - رحمه الله - في حق الإمام ابن عاشور - رحمه الله - حيث يقول: "رجل القرآن الكريم وإمام الثقافة الإسلامية المعاصرة ... أقرأ كلماته في التحرير والتنوير فاستغرب لأنه وطأ كلمات مستغربة وجعلها مألوفة وحرر الجملة العربية من بعض الخباث

(١) من أعلام الزيتونة - شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره د. بلقاسم الغالي الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، دار ابن حزم بيروت - لبنان ص ٢٢٣ .

الذي أصابها أيام انحدار الأدب في عصوره الأخيرة ابن عاشور لا يمثل صورة من اللحم والدم وإنما يمثل تراثاً أدبياً عقائدياً أخلاقياً^(١).

وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

الخاتمة

وتشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته :

أولاً : أهم النتائج :

الحمد لله على نعمه ومننه علينا ، فلقد انتهيت بفضلته من هذا البحث والذي كان بعنوان " دور الشعر في فهم النص القرآني عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير" ولقد توصلت - بعون الله - إلى بعض النتائج وهي كالتالي: -

• نزل القرآن بلسان عربي مبين، بلغة العرب وعلى أساليبهم في كلامه قال تعالى : "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ" لم تشبهه عجمة، ولم يكدره لبس، عجز بلغاء العرب وفصحاؤهم عن الإتيان بمثله.

(١) من بحث نشرته مجلة الوعي الإسلامي - ملتقى ابن عاشور ، العدد ١٨ ، ١٩٦٨ ، ص ٤٤ .

- إن الصحابة لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل تفاوتت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم .
- اللغة العربية واسعة الأطراف لا يحيط بمجملها وكثير من تفاصيلها إلا من فتح الله تعالى عليه ، وعليه فقد تنوعت ألوان التفسير ، وتميزت صبغة كل تفسير عن غيره تبعاً لمنهج صاحبه واهتماماته .
- نشأ ابن عاشور في أسرة كريمة بالدين ، جليلة بالفقه ، توارث أهلها المناصب العلمية والسياسية ، الأمر الذي حببه في العلم ؛ فكان مقبلاً على الكتابة والتحقيق والتأليف ، خلف - رحمه الله - عدداً كبيراً من المؤلفات في مختلف مجالات العلم والمعرفة ، إذ نجد له كتباً في التفسير والحديث والفقه ، واللغة والأدب والبلاغة حتى في الاجتماع والتاريخ .
- كان ابن عاشور ذا ثقافة واسعة شملت كل العلوم من لغة وأدب وبلاغة وتفسير وحديث وقرآيات وتاريخ ، وقد اكتسب كل هذه العلوم من علماء أفاضل امتازوا بثقافة موسوعية في علوم الدين وقواعد اللغة العربية وبلاغتها وبيانها ، وقد ظهر أثر ذلك في تفسيره ؛ حيث عد التحرير والتنوير موسوعة علمية عظيمة ضمت ألواناً كثيرة من العلوم .
- من أهم الأساتذة الذي كان له التأثير الأكبر في الطاهر بن عاشور وفي مسيرته العلمية ، وفكره الإصلاحية الشيخ محمد عبده .
- التحرير والتنوير تفسير بلاغي بياني لغوي ، أفنى فيه المؤلف ثمرة وقته ، وعصارة ذهنه ، وأودعه من المباحث المفيدة النافعة، والأقوال المحررة حتى صار نبراساً جامعاً للفوائد والنكات العلمية.

- شكل الشعر أهمية كبرى في كونه مدخلا لفهم أسرار التعبير القرآني والاستشهاد به على غريب القرآن ومفرداته وبيانه وخير دليل على ذلك الروايات التي رويت عن حبر الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنه ، والصحابة والتابعون - رضوان الله عليهم - كانوا ينهجون نفس المنهج في الاسترشاد بحديث رسول الله وروح القرآن وبالشعر العربي والأدب الجاهلي بوجه عام.
- جعل ابن عاشور معرفة أخبار العرب وتراثهم الذي خلفوه من شعر خطابة ، وقصص ، وأمثال ، من قبيل المعارف ، أو بالأحرى العلوم التي يتوقف الخوض في التفسير على العلم بها وقد سماها في مقدمته الثانية باستمداد علم التفسير. فعلى كل من يتصدى لتفسير كتاب الله - عز وجل معرفة ذلك وتوظيفه لفهم النص القرآني ؛ فمن أراد فهمه فمن جهة لسان العرب يفهم.
- إن فريقا من المفسرين انصرف عن الولوج في الشواهد الشعرية لتفسير الآيات القرآنية ؛ حذرا من الذلل في كتاب الله ، ولكن ما عليه أكثر المفسرين فهو عدم التخرج من ذكر الشواهد الشعرية عند تفسيرهم للقرآن الكريم ، استدلالا بما كان عليه الصحابة والتابعون ، والروايات في ذلك كثيرة.
- من أهم كتب التفاسير التي اعتنى أصحابها بالشعر وبدوره الفعال في فهم معاني القرآن، البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، الكشف للزمخشري ، والدر المصون للسمين الحلبي وغيرها .

- بلغ عدد الشعراء الذين احتج ابن عاشور بشعرهم في التحرير أكثر من مائة وأربعين شاعرا.
- انتهج ابن عاشور - رحمه الله - منهجا خاصا في توظيف الشعر لفهم النص القرآني تمثل في : استعانه بالشعر في بيان المعنى القرآني ، استعانه بالشعر لترجيح رأيه ، استعانه بالشعر لتوضيح عادات كانت معهودة عند العرب ، استعانه بالشعر لإبراز جمال التعبير القرآني .

ثانياً : التوصيات :

يوصي البحث بالتوسع في دراسة الشاهد الشعري عند المفسرين عامة الذين اهتموا بهذا المنحى في التفسير، وعند ابن عاشور خاصة دراسة منهجية نقدية.

فهرس المراجع

• القرآن الكريم

- الإبانة في اللغة العربية ، سلمة بن مسلم العوتبي الصُّحاري ، المحقق: د. عبد الكريم خليفة وآخرون ، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الإِتقان في علوم القرآن ، لـ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ،المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م.

- آثَارُ ابْنِ بَادِيسَ ، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ) ، المحقق: عمار طالبي ، الناشر: دار ومكتبة الشركة الجزائرية ، الطبعة: الأولى (عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ ميلادية) .
- أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير للباحث: مشرف بن أحمد بن جمعان الزهراني.
- أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية ، لـ يوسف بن خلف العيساوي ، دار ابن الجوزي الطبعة الأولى ، السعودية ، ١٤٣٠هـ.
- أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) ، المحقق: علي محمد البجاوي ، الناشر: دار الجيل، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) ، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

- إعراب القرآن وبيانه ، لـ محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ) ، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ...
- الأعلام ، لـ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ .
- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، تحقيق محمد عمارة ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- أعيان العصر وأعوان النصر ، لـ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفي (المتوفى: ٧٦٤هـ) ، المحقق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعده، الدكتور محمود سالم محمد ، قدم له: مازن عبد القادر المبارك ، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- أليس الصبح بقريب ، لـ محمد الطاهر بن عاشور ، الطبعة الأولى ، دار السلام ، القاهرة ، ٢٠٠٦ م .
- إمتاعُ الفضلاء بترجمِ القراء فيما بعدَ القرنِ الثامنِ الهجري، إلياس بن أحمد حسين - الشهير بالساعاتي - بن سليمان بن مقبول علي

البرماوي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

• الإمتاع والمؤانسة ، أبو حيان التوحيدي ، المكتبة العنصرية، بيروت ،
الأولى، ١٤٢٤ هـ.

• إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لأبي عبد الله، محمد بن
إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين ،
المحقق: وهبي سليمان غاوجي الألباني، دار السلام للطباعة والنشر -
مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

• الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو
المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق
(المتوفى: ٧٣٩ هـ) ، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي ، الناشر: دار
الجيل - بيروت .

• البحث اللغوي عند العرب ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ،
التاسعة: ٢٠١٠

• بحث بعنوان القرآن الكريم والشعر دراسة موضوعية ، د رياض محمود
جابر قاسم ، الجامعة الإسلامية - غزة ، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

• البحر المحيط في التفسير ، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي
بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥ هـ) المحقق:
صدقي محمد جميل ، الناشر: دار الفكر - بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

- بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المؤلف محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .
- تراجم المؤلفين التونسيين ، المؤلف: محمد محفوظ (المتوفى: ١٤٠٨ هـ) ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م.
- التفسير الأدبي للنص القرآني ، لـ د/ مصطفى الصاوي الجويني ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٨م
- التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب دار الفكر العربي القاهرة .
- تفسير الماوردي = النكت والعيون ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .
- التفسير والمفسرون الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ) الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، لـ يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، أبو الحجاج ، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبى المزى (المتوفى: ٧٤٢هـ) ، المحقق: د. بشار عواد معروف ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ .
- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربى - بيروت ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م .
- جامع البيان في تأويل القرآن ، لـ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملى، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، المحقق: أحمد محمد شاكر ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- الحسان في تفسير القرآن ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ) ، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الناشر: دار إحياء التراث العربى - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ .

- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) ، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر ، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
- ديوان الحارث بن حلزة اليشكري ، صنعه / مروان العطية ، الطبعة الأولى ١٤١٥ - ١٩٩٤م ، دار الإمام النووي.
- ديوان الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة المتوفى ١١٠ ، د. سايمز، مكتبة الثقافة العربية - بغداد - العراق ، بدون تاريخ .
- ديوان المتنبي دار المعرفة بيروت تحقيق مصطفى السقا إبراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي .
- ديوان النابغة الذبياني ، دار المعرفة بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
- ديوان الهذليين ، الجمهورية العربية المتحدة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- ديوان امرئ القيس ، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥ م) ، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ، الناشر: دار المعرفة - بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ديوان بشار بن برد ، جمع وتحقيق / محمد الطاهر بن عاشور ، طبعة وزارة الثقافة ، الجزائر ٢٠٠٧.

- ديوان عروة بن حزام ، دراسة وتحقيق أحمد عكيدى ، وزارة الثقافة - دمشق ، ٢٠١٤م.
- ديوان لبيد بن ربيعة ، لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: ٤١هـ) اعتنى به حمدو طماس ، دار المعرفة - بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤-١٤٢٥.
- رجال صحيح مسلم ، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن منجويّه (المتوفى: ٢٨هـ) ، المحقق: عبد الله الليثي ، الناشر: دار المعرفة - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ .
- رسالة دكتوراه بعنوان الملامح الدلالية في كتب غريب القرآن "الدلالات التركيبية والمعجمية للباحث حسن أحمد هود بن سميط ، الأردن ، جامعة اليرموك ، ٢٠٠٤ .
- رسالة ماجستير بعنوان " منهج الطاهر بن عاشور في توظيف معهود العرب في تفسير " التحرير والتنوير " للباحث محمد الأمين غماري .
- الرواية والاستشهاد باللغة ، محمد عيد ، عالم الكتب ، ١٩٨٨ .
- سرقات المتنبي ومشكل معانيه ، ابن بسام النحوي ، تحقيق / الطاهر بن عاشور ، طبعة الدار التونسية .
- السموأل ، دار صادر بيروت.

- الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم ، أهميته ، وأثره ، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به ، لـ د/عبد الرحمن بن معاضه الشهري ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ١٤٢٩ .
- شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس ت ٢٣١ هـ) ، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (المتوفى: ٥٠٢هـ) ، الناشر: دار القلم - بيروت .
- شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١ هـ) ، المحقق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- شرح ديوان روبة بن العجاج ، تحقيق الدكتور ضاحي عبد الباقي محمد ، مراجعة الدكتور محمود علي مكي ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢ هـ .
- الشعر والشعراء ، لـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) الناشر: دار الحديث، القاهرة ، عام النشر: ١٤٢٣هـ .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت ، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ .

- الصناعتين ، ل أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت ، عام النشر: ١٤١٩ هـ
- طبقات الشعراء ، ل عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ) ، المحقق: عبد الستار أحمد فراج ، الناشر: دار المعارف - القاهرة ، الطبعة: الثالثة .
- طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنؤوي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١١هـ) المحقق: سليمان بن صالح الخزي ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م
- طبقات المفسرين العشرين ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) ، المحقق: علي محمد عمر ، الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦
- طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- علوم البلاغة «البيدع والبيان والمعاني» الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب ، الناشر: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م .

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، لـ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: دار الجيل ، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- عيار الشعر، لـ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا، الحسني العلوي، أبو الحسن (المتوفى: ٣٢٢ هـ) ، المحقق: عبد العزيز بن ناصر المناع ، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة .
- العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠ هـ) ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال .
- الفقيه و المتفقه لـ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) ، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي ، الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية ، الطبعة: الثانية، ١٤٢١ هـ .
- قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير - دراسة تأصيلية تطبيقي إعداد: عبير بنت عبد الله النعيم ، تقديم: أ. د. فهد بن عبد الرحمن الرومي ، الناشر: دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لـ نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ) ، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت ، عام النشر: ١٤٢٠ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ .
- محمد الطاهر بن عاشور ، حياته وأثاره ، د/ بلقاسم الغالي ، دار ابن حزم ، الأولى ١٤١٧ هـ . ١٩٩٦ م .
- المستقصى في أمثال العرب ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٨٧ م .

- معجم البلدان، لـ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) ، الناشر: دار صادر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م .
- معجم الشعراء العرب ، تم جمعه من موقع الموسوعة الشعرية .
- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» ، المؤلف: عادل نويهض ، قدم له: مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد ، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .
- المعجم المفصل في شواهد العربية ، د. إميل بديع يعقوب ، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ) ، الناشر: عالم الكتب، بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ .
- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكريا القرويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري

- (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ،
الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .
- مفردات القرآن - نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية ، عبد الحميد الفراهي الهندي (المتوفى: ١٣٤٩هـ) ، المحقق: د/ محمد أجمل أيوب الإصلاحي ، الناشر: دار الغرب الإسلامي ، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م .
 - مقدمة ابن خلدون لـ عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن خلدون الحضرمي ، دار نهضة مصر للطباعة ، الطبعة الأولى .
 - من أعلام الزيتونة - شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره د. بلقاسم الغالي الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، دار ابن حزم بيروت - لبنان .
 - منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير ، نبيل أحمد صقر ، الناشر: الدار المصرية - القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ .
 - الموافقات ، لـ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان ، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .

- موجز تفسير آيات الصبر عند الطاهر بن عاشور ، لـ عبد النبي محمد عباس ، دار المكتبة العصرية ، القاهرة - مصر ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٣ م .
- النبأ العظيم ، د محمد عبد الله دراز ، تحقيق الشيخ / أحمد مصطفى فضلية ، دار القلم ، الطبعة العاشرة ١٤٢٩ ، ٢٠٠٨ .
- نقد الشعر ، لـ ابو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي ، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، المكتبة الأزهرية للتراث - مصر - القاهرة ، الطبعة الأولى .
- الوافي بالوفيات ، لـ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) ، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث - بيروت ، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي (المتوفى: ٦٨١هـ) ، المحقق: إحسان عباس ، الناشر: دار صادر - بيروت .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَجَلَّةُ كَلِيَّةِ أَسْوَلِ الدِّينِ وَالدَّعْوَةِ / الْعَدَدُ السَّابِعُ وَالثَّلَاثُونَ ٢٠١٩ م - الْجُزْءُ الْأَوَّلُ
٩٠٣